كتب الدراسات القرآنية

٨

جماليات المضمون والشكل

في الإعجاز القرآني

دكتور
مصطفى الصاوي الجويني
رئيس قسم اللغة العربية بكلية البنات
جامعة عين شمس

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

جماليات المضمون والشكل

في الإعجاز القرآني

تأليف

دكتور
مصطفى الصاوي الجويني
رئيس قسم اللغة العربية بكلية البنات
جامعة عين شمس

الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزى وشركاه

جماليات المضمون القرآني العام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة :

الى زمن يمتد ثلاثين عاما أو تزيد وأنا مشغـــول بالدرس القرآنى ، فلسفة وتفسيرا ، لغة وبلاغة ، ووجدتنى ازاء جهود استمرت لدى أعلام الدرس القرآنى على مدى خمسة عشر قرنا تتوزع الاهتمامات حياله بين كلام وتفسير ولغة وبلاغة ، واستأثر الدرس الاعجازى خاصة بجهود الكلاميين والبلاغيين ٠ وحقا ان القرآن دستور الاسلام هو لكل زمان ولكل مكان ٠ ورأيت من حق القرآن على وأنا المحب أن أعرض قضايا العصر لاستشارته فيها : اجتماعيـــة أو نفسية أو اقتصادية أو سياسية ، جيولوجية أو طبية ، فلكية ، أو طبيعية كيميائية أو جغرافية الى ما شاء الله من معارف هدى الله اليها الانسان فتح عليها عقله ، وأضاء وجدانه ٠ وأردت الى بحثى هذا أن أوجهه الى جيل اليوم من الشباب ، وكان منطلقى منه الناحية الجمالية فى المعنى القرآنى العام ، وفى المعنى القرآنى العلمى ، ولم أقصد بالجمال ما تحالف عليه الفلاسفة والجماليون أو اتفقوا حول تحديد الجمال والهدف منه ، وانما ببساطة أردت من الجمال ، مصادقة المضمون القرآنى العام ، والمضمون القرآنى العلمى لما تطمح اليه آمال البشرية ، من مثل فى الاقتصاد وفى الاجتماع وفى النفس ٠٠٠ الخ ٠ وكذلك ما استقر عليه الكشف العلمى والفهم العقلى من حقائق الكـــون العلمية ٠

واذن فالجمال مواءمة وتناسق المضمـــــون القرآنى للمثـل الانسانية المرموقة وتناغم حقائق الكون العلمية التى تكشف للعقل الانسانى ـ لما أجمله المضمون القرآنى العلمى فى دقة وفى وضوح معجزين ٠

كم تطمح الانسانية الى المساواة مثلا ولكن دون طموحها تنظر المضمون القرآنى لها ، وتطبيق الرسول محمد والذين معه بايمانه لصحة المساواة ٠ وكم تتخبط النظم والأيدلوجيات المعاصرة فى الارتكاز الى أسس اقتصادية تتهاوى

كلها تحت الاجمال القرآوى العام لدورة رأس المال بين المسلمين وتطبيق الرسول المثالى وصحابته لهذه القيمة الاقتصادية العليا ٠

وفى مجال العلم لا تصطدم آية قرآنية أو جزء منها بما استقرت عليه الحقائق العلمية التى كشفت أخيرا فصاحب رسالة الاسلام أمى لا يخط كتابا ٠

الجمال الذى أقصده ، وأركز اهتمامى عليه هو مواءمة وتناغم المضمون القرآنى مع ما ترنو اليه عقول ووجدانات البشرية من مثل عليا ، وحقائق علمية ٠

وركزت على المضمون لأن جل العناية من قبل كانت منصرفة الى الشكل وفى كل نص أدبى ــ وبالأولى القرآن ــ لا ينفصل شكل عن مضمون ٠ ونجد نماذج وفيرة على مدى خمسة عشر قرنا لصور وأشكال جمالية اهتدى اليها البلاغيون والكلاميون ٠ ولهذا نلحظ أن قسمتى للبحث ثلاثة أقسام : أولها يشغل بالمضمون القرآنى العام وجمالياته ، والثانى ينصرف الى جماليات المضمون القرآنى العلمى ، وهذان القسمان يكبران حجما ، القسم الثالث المفرد عن جماليات الشكل القرآنى لترجع أن شئت الى مباحثهم الأصلية ولأنى عنيت فى دراسات سابقة لى بالجانب القرآنى التعبيرى ٠ ومنها (منهج الزمخشرى فى « تفسير القرآن » وبيان اعجازه) و (مناهج فى التفسير) ودراستى التى صدرت بها تحقيقى لكتاب الجمان فى تشبيهات القرآن) وفى غيرها ٠

ومعذرة ان وجدت تقصيرا ، فان احساسى مع الزمن يكبر بأنى لا أعدو وأنا أدرس النص القرآنى حال طفل جذبه المحيط وهو لا يجرؤ أن يقترب من مائه ٠ وفى الاحساس بالعجز أمام قوة الخالق آية التوحيد والأمان فى حماية الله ، (ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ٠

وبعد ، فقد كنت فى كل ما كتبت أشير ولا أفصل ، وألمح ولا أصرح ، مثيرا للفكر ، ومنبها للوجدان ، وفوق كل ذى علم عليم ٠

دكتور مصطفى الصاوى الجوينى

القاهرة فى ٢٥ رجب ١٤٠٢ هـ
١٨ مايو ١٩٨٢ م

جماليات الشكل والمضمون في الإعجاز القرآني

- في المضمون القرآني العام
- في المضمون القرآني العلمي
- حول جماليات الشكل

فى المضمون القرآنى العام

فى خطة بحثنا للاعجاز القرآنى

(المضمون)

وفيه نعرض للمضمون القرآنى أو للموضوعات القرآنيـــة مستعينين بتفصيل آيات القرآن الكريم (لجول لا بوم) ولبعض البحوث المعاصرة فى الدراسات القرآنية مثلا (أدب الجهاد) و (القرآن للمجتمع) ٠٠٠ الخ ٠

موقف القرآن من فكرة العبث

العالم له غاية (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) ٠
والقرآن يحكى أقوال العابثين (ان هى الا حياتنا الدنيا تموت ونحيا) وقولهم (وما يهلكنا الا الدهر) ٠

واذا كانت الأشياء تبدو فى مظاهرها لنا تندرج بمقاييسنا تحت الخير والشر ، فلله حكم آخر (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) ٠ والأمر بعد فيما نراه شرا علينا أو خيرا لنا هو من الله اختبار وبلاء (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ٠ ويقول سبحانه (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأمـــوال والانفس والثمرات وبشر الصابرين) ٠

ثم الحياة : (انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ٠٠)

خطأ فلسفات العبث

ان الخطأ الأساسى فى فلسفات العبث أنها تنظر الى الوجـــود نظرة سطحية وهى رد فعل لظروف القهر النفسى والسياسى والاقتصادى ٠ ومن هنا فهى تنظر الى سلوك الناس السىء فى المعاملة ولا تنفذ بعمق الى القوانين التى تسير هذا الكون والى الأحكام والتناغم فى هذه القوانين ٠ واذا ادعت

فلسفة مثل الوجودية تحرير الانسان من كل القيود وجعله يتصرف وفقا لمصادفات الأحداث ، فهى بهذا تربطه بالوجودية بعد أن حلت ارتباطه بالدين والاجتماع والتاريخ ٠٠ وفلسفة مثل المادية الشيوعية تعمل لصنع قوالب فتفرغ عقول الناس وقلوبهم من كل شيء لتصب هى ماتشاء من فكر مادى الحادى ٠ يقول الله تعالى « انا كل شيء خلقناه بقدر » ٠

المال فى الاسلام

ان الملكية الفردية (أو سياسة المال) ان حقوق الفرد المالية فى كل النظم التى سادت مجتمعات ما قبل الاسلام لم ترق الى المستوى الذى منحه الاسلام للفرد من حق التملك فأوجب الشهادة حتى على الفقير المحتاج احتراما لحق الغنى فى ماله اذا أدان به فقيرا (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ٠ ومع هذا الحق المطلق فى التملك فان السفيه أو ناقص العقل يحجر عليه فى الاسلام مع عدم حرمانه من ماله وحقه فيه (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) ٠ ان المال فى الاسلام ليس مال الفرد وحده بل هو مال الأمة جميعا، وفى هذا يقول آدم سميث أبو الاقتصاد المعاصر : ان تنمية الملكية الفردية تنمية للثروة القومية التى هى مجموع ثروات الأفراد ٠ وفى ضوء هذا ، فاذا كان تهريب المال الفردى من أمة تخريبا لاقتصادها باعتباره جزءا من الثروة القومية فان الاسلام كذلك يمنع تخزين المال الذى هو تعطيل لدورة رأس المال القومى ٠

الكائنات المكلفة

١ ـ الملائكة وهم جند الله كلهم أخيار ولا يتناسلون ٠

٢ ـ الجن : يتناكحون ويتناسلون منهم الأخيار ومنهم الأشرار ٠

٣ ـ الانسان : يتناكح ويتناسل وهم بين مطيع وعاصى ٠

أما الكائنات غير المكلفة فهى عديدة : حشرات وزواحف وطير وحيوان أليف ومفترس ٠

صورة الطبيعة فى القرآن

للطبيعة صورة فى الحياة الدنيا آية القدرة ورمز نعمة الله على عباده ، ومن الطبيعة مشاهد لضرب المثل (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) ٠

أما وصف الحياة دلالة القدرة ، وآية المتعة فمثل قوله : (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل منها سراجا وقمرا منيرا) ٠٠٠ (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ٠٠٠ الخ) ٠ ومشاهد من الطبيعة مؤذنـة بنهاية الحياة (اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت) ٠

الألـــوان

موضوع محبب الى النفس ، وله أبعاد وأبعاد فى القرآن نكتفى بالاشارة الموحية الى قوله سبحانه متناولا النبات والجبال والحيوان والانسان وكل مادب على الأرض (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانها كذلك) ويفـــرق سبحانه بين لونين من الماء (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) ٠ ويقول فى اختلاف الألسنة والألوان (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم) وظاهرة التلوين فى القرآن لافتة ومحببة ٠

النــوم

وراء الآية (وجلعنا نومكم سباتا) ٠ السر فى هذه الآية ماهو ؟ تراجع معانى لفظة السبات فقد أظهرت بحوث العلماء أن فى النوم تغمض الجفون وان كانت العين تتحرك ، وتكون أجهزة الجسم كلها يقظى ٠ القلب ينبض ، والجهاز الهضمى يعمل ، ومراكز الاحساس كلها متنبهة ٠ ويدور فى النفس حديث سماه القرآن فى أدق تعبير (ويعلمك من تأويل الأحاديث) فالنفس تتحدث الى خالقها ٠٠ أو الى الملائكة ٠٠ أو الى الرسل ٠٠ أو الى الشياطين وتتجسم هذه الأحاديث فى مشاهد يراها النائم وقد أخطأ فرويد ومن بعده يونج حين جعلا الجانب الحيوانى من الانسان يتحكم فى رغباته المكبوتـــة فيبدو فى صورة أحلام وعيب فرويد أنه أخذ حالات المرضى وسحبها على الأسوياء وليس الانسان انسانا بالجانب الحيوانى وحده ٠

ان الحياة الانسانية كلها ايقاع ٠٠ بداية ونهاية (دورة نوم ويقظة ٠٠ ليل ونهار ٠٠ صيف وربيع وخريف وشتاء٠٠طفولة وصبا وشباب وشيخوخة وهكذا ٠٠٠

التوازن فى المأكل والمشرب والملبس

فى أسباب النزول لآيات من سورة المائدة (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أن عثمان بن مظعـــون وجماعة أرادوا الصيـــام ولبس الخشن والسياحة فى البلاد والترهب ونهاهم الرسول لأنه لم يبعث يهوديا ولا نصرانيا ولكن بعث بالحنيفية السمحة • (كلـــوا واشربوا ولا تسرفوا) • وفى حديث الرسول (الكافر يأكل فى سبع معى والمؤمن يأكل فى معى واحد) وفى القرآن (خذوا زينتكم عند كل مسجد) • ان الاسلام يريد المسلمين أقوياء البنية والروح فاذا ترهبوا من يقوم بشئون الدنيا ويعمر الأرض ويدافع عن الدين ؟ واذا أفرطوا فى الأكل والشرب وجمدوا وتبلدوا واذا أترفوا قعدوا وتكاسلوا عن أمور الدنيا والدين جميعا • أما اذا لبسوا خشن الثياب ورث الملابس مع نعمة الله عليهم بالرزق فكأنهم بلسان الحال يكفرون الرازق سبحانه وتعالى القائل (وأما بنعمة ربك فحدث) •

ان المؤمن كريم على نفسه وعلى غيره من الناس • كان الرسول ينظر الى الماء ليسوى شعره حين يخرج الى الناس وكان يلبس أحسن ما عنده ويأمر أصحابه بلبس أفضل ما عندهم اذا خرجوا للقاء الوفود على الرسول • ودين الاسلام يأمر بالطهر عند كل صلاة وبالاغتسال لأن النظافة من الايمان ، وصدق الرسول العظيم اذ يقول : (ان الله جميل يحب الجمال) جمـــال البدن ، وجمال الروح وجمال المظهر •

الدعـوة الى اللـــه

ان هذه الدعوة الى الله فرض على المؤمنين ، فقد عاب الله أهل الكتاب الذين كتموا دعوة الله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه •••• الخ) ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا • والله امتن على المسلمين أن بعث فيهم رسولا يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون) •• وفريضة الدعوة الى الله وهداية الناس ونشر العلم مليئة بها نصوص القرآن والسنة • والدعوة هنا دعوتان : دعوة للمسلمين الذين يجهلون كثيرا من أمور دينهم أو قليلا منها ، ودعوة ثانية لغير المسلمين فى قارات الدنيـــا أسيا وأفريقيا واستراليا وأوروبا والأمريكتين • وهنا مجـــال مقارنة بين المبشرين المسيحيين من ناحية وبين أهل التقدم المادى الذين يحتكرون العلم ويحبسونه عن اخوانهم فى الانسانية •

الاسلام دين الوحدة والمحبة

يثير أعداء الاسلام حديثا كما أثاروا فى القديم فرية أن الاسلام دين التعصب وأنه داعية الفرقة بينما هو دين الوحدة والتوحيد فهو يعترف بكل الأديان السابقة بكل أصولها التى لم تحرف وبكل أنبيائها (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ٠٠) ٠ وبمراجعة مادة اسلام فى القرآن نجد أن يوسف ويعقوب وبنيه وابراهيم وحواريه وعيسى كلهم مسلمون ٠ ولهذا قال سبحانه (ان الدين عند الله الاسلام) وقال : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وقال : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ٠

وان الدين الذى لا يفرق بين جنس ولا لون وانما يرى أكرم الناس عند الله أتقاهم لهو دين المحبة والوحدة لا العصبية والفرقة ٠

الاسلام دين ودولة

تتجه فى الوقت الحاضر بعض الدول لتكون علمانية لا دينية كأفغانستان والهند وسبقتهما تركيا ثم لبنان ٠ ولكن السياسة ، والاقتصاد ،والثقافة بفكرها وعلومها وأدابها وفنونها ، والاقتصاد ، والتطور الاجتماعى ، والدين ، كل أولئك يتفاعل حين التطور لتكون قمته هى السياسة أو الحكم ٠ والتى يعكس تطورها تطور كل تلك العناصر المتفاعلة دوما ٠

ومن هنا حكمة الاسلام فى أنه دين ودولة ، فالدول العلمانية حين تتخلى عن عنصر الدين الضابط لكل العناصر الأخرى يضطرب بالتالى بقية العناصر ٠ وشاهد هذا اهتزاز كثير من أنظمة الحكم المادية الملحدة ٠

الاسلام دين ودولة : فى القرآن تحديد لدور الداعية المراقب للسلوك الدنيوى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وأمر للانسان (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ٠٠) ٠ وفى القرآن فيض من الآيات تقرن بين النظر الى الدنيا والنظر الى الآخرة ٠ فهناك الحدود تعاقب عليها الشريعة فى الدنيا وعقاب الآخرة متروك لله سبحانه

وتعالى مثلا الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى المؤمنين • وحد الزنا ، وحد رمى المحصنات ، وحد الخمر ، وحد الحرابة (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ••• الخ) • وحد السرقة • وهكذا نرى أن الاسلام دنيا وآخرة دين ودولة •

الاسراء والمعـــراج

ورد ذكرهما صريحا فى القرآن ، ففى الاسراء : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) • وفى المعراج قوله : (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وهى رحلة أرضية من مكة الى المسجد الأقصى •• وسماوية عرج فيها الرسول من المسجد الأقصى الى السماء ، ورحلة الأرض رمز الى ارتباط الديانات السماوية كلها من لدن ابراهيم حتى الرسول محمد ، وفى السماء أم الرسول الرسل جميعا • وكان هذا تشريفا وتكريما للرسول وتثبيتا له ضد قومه الذين حاصروا الاسلام فى مكة ، وفى ليلة المعراج فرضت الصلاة خمس مرات رمزا لمعراج الروح الى ربها ولقائها به فى كل صلاة • ان الاسراء والمعراج يتخطى حدود الزمان والمكان فله آماد وأبعاد فى الرموز والمعانى •

قصة الاسراء والمعـراج

كان لها وقعها النفسى •• وفيها رموز ذلك أنه فيها فرضت الصلاة والصلاة عروج روح المؤمن الى ربه ثم فيها أم الرسول جميع الأنبياء ، رمزا للانسانية ، ووحدة الأديان •

ان أول بيت وضع للناس الذى ببكة ، وثانى المساجد مسجد ايلياء أو المسجد الأقصى • ثم ان المشاهد التى رآها الرسول عليه السلام فى معراجه ترمز الى معان من الخلق والدين (ليراجع حديث الاسراء فى صحيح البخارى) •

الموت والحيـــاة

مفهومهما فى القرآن وبما وصف من الكائنات الحية والجمادات بـــها وفلسفة الحياة والموت ووصف الله لهما • توقيت الحياة والموت وكراهية الناس للموت وحبها للحياة ووصفه سبحانه لمظاهر الحياة والموت •

متــــاع ومتــاع

أحل الله للناس الطيبات متاعا لهم وهذا المتاع قد يفوت الناس فى الدنيا أو يفوته الناس بالموت . أما الباقى الذى يزداد فى الدنيا ويتضاعف أجره فى الآخرة فهو الايمان (وللآخرة خير لك من الأولى) وقوله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ... الخ .

العلة والمعلول

ان الله أودع فى هذا الكون علله وقوانينه التى يكتشف منها الانسان - حسب مشيئة الله - فى كل زمان ما يكتشف . ومن هنا يربط العقل بين العلة والمعلول ، واذا كنا قد وصلنا الآن الى حد الجنون بالعقل فان لنا أن نفىء الى الحق فنعلم أن ارادة الله مطلقة فوق قوانين العلة والمعلول فهـــو سبحانه الذى يقول (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) . هو الذى سلب سبحانه من النار طبيعة الاحراق حين قال (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) . والله الذى جعل الرياح فى الدنيا للبشر نعمة (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها) وهو الذى جعلها نقمة لعاد وقود هود (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) .

الرســـول الخاتم

بعد مرحلة طويلة من عمر البشرية كان فى خلالها يرسل سبحانه وتعالى الرسل على فترات للايقاظ والتنبيه وتتفتح أمام العقول شيئا فشيئا آيات الله فى الكون قضت حكمته سبحانه أن يكون محمد خاتم الرسل والأنبياء ، فمنذ رسالته لا أمر جديد ولا نهى جديد (ان الدين عند الله الاسلام) والى أن يأذن الله بزوال الدنيا فالأمر ما أمر به المسلمون منذ محمد والنهى مانهى عنه المسلمون أيام محمد والجديد فحسب هو أمور الكون تتفتح مظاهره لدى العقول ولا مدخل لتلك الكونيات فى الأوامر أو النواهى الشرعية أو التكاليف الدينية اللهم الا اذا استخدمت المعرفة وسيلة لخير أو شر .

تجربة الانسانية

فى الجنة هيئت الحياة السعيدة لآدم وحواء وأبيح لهما فيها كل شىء

الا شجرة معينة نهيا عن أكل ثمارها ، وزودهما الله بالعقل ليقاوما به الغريزة فى تلك التجربة ، وفشل العقل فى أن يمنعهما من الشجرة المحرمة وتغلبت الغريزة فأمرا بالهبوط الى الأرض وزينت لهما الأرض بالنبات والحيوان والذهب والفضة • وخاض نسل آدم وحواء تجربة أبويهما ومعهم أمر جديد يكفل لهما النجاح وهو توجيه الله أو رسالة السماء أو الدين •

ومن هنا تعنى التجربة الانسانية أمورا ثلاثة :

(أ) رسالة السماء •

(ب) العقـــــل •

(ج) الفطـــرة •

وبالدين وحده تتساوق وتعنو أمور العقل والفطرة •

الموقف الانسانى للاسلام من غير المسلمين

تتشدق بعض المذاهب الالحادية المعاصرة بنزعتها الانسانية ، ولكن لنرى ماذا فى الاسلام :

١ ـ يشدد القرآن فى نصوصه ، كما يلمح الرسول فى أحاديثه عـلى أخوة المسلمين وتعاونهم ورفقهم ببعضهم •

٢ ـ يشدد القرآن فى الوقت نفسه على الشدة فى حرب المخالفين اذا كان الأمر يتصل بالعقيدة وبالجهاد دفاعا عنها ، أما ماعدا ذلك فالاسلام يرى فى البشر كلهم أخوة الانسانية يقول سبحانه (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) • ويقول سبحانه (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) •• (وان جنحوا للسلم فاجنح لها ••) الخ ••

معاملة غير المحاربين

تمتدح الحضارة المعاصرة بأنها نظمت فى قانونها الدولى معاملة المدنيين فى الحرب والسلم وشرعت لمعاملة الأسرى والجرحى ، ووصلت الى هذا كله فى منتصف القرن العشرين الميلادى • ان ما فعله المسيحيون الغربيون فى الحروب الصليبية قال عنه جوستاف لوبون انه لما يخزى منه الغرب لو أطلع على معاملة الشرقيين • وقال عنه سعدى الشيرازى ان هؤلاء الصليبيين بما

ارتكبوه من فظائع ليسوا بشرا · ولعله من الشواهد القريبة الحـــــربه العالمية الثانية التى دمرت وخربت وكان من ضحاياها اليهود الذين قاموا من بعد بدور الجلادين للعرب الفلسطينيين ·

أما الاسلام فنظم وحدد قوانين الحرب والسلم والقرآن مجال لبحث هذا الموضوع ويكفينا الاشارة الى قوله تعالى : (ان الله لا يحب المعتدين) · وترجم رسول الله تعاليم القرآن عمليا فكان من وصاياه وخطبه فى المعارك الحربية والى قواد سراياه وجنوده الا يخربوا العمران فلا يقطعوا شجرا أو نخلا أو كرما أو يعتدوا على الثروة الحيوانية أو يقتلوا طفلا أو شيخا أو امرأة أو أسيرا أو جريحا أو مريضا أو أعمىأو أى مسالملا يحمل أداة حربأو قتال ولا يقاتل بقوله أو فعله · وسار من بعده السيرة عينها صحابته ، ولابن قتيبة أبحاث مفردة فى هذا ··· وسأفرد بعد موضعا آقر اتحدث فيه عن مساوىء الحضارة المعاصرة فى هذا المجال وتخلفها بالقياس الى الاسلام ·

تجربة آدم فى الجنة

فى الجنة كانت تجربة آدم العملية لتوطئة الخلافة فى الأرض ، ولم يكن فى الجنة ثمة ثواب أو عقاب · لقد هيأ الله لآدم وزوجه فى الجنة وسائـــل العيش المادى (ان لك أن تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) غذاء وكساء وشراب ومسكن ولتكتمل انسانيته · أمره بالعبادة بعـــد توفر أسباب المادة والأمان له (فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) ·

وشرع الله لآدم التوبة ان عصى ضمانا لاستمرار حركة الهدى فى الحياة، (وعصى آدم ربه فغوى) ، (وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) · وآدم باعتباره أبا البشر يمثل جانبين : الجانب البشرى فيعصى ويتوب والجانب النبوى المعصوم من الشرك وارتكاب محارم الله · ومن ذرية آدم البشر عموما والرسل خصوصا ·

فى الجنة مارس آدم تجربة تمارسها البشرية منذ آدم والى أن يأذن الله بزوال الدنيا · ففى الجنة أمر الله آدم وحواء بأن ينعما بالأكل من ثمر الجنة ما شاء لهما المتاع ، هذا أمر ·· ونهاهما عن الاقتراب من شجرة حرمها عليهما ، وهذا نهى ·· ثم حذرهما من ابليس ـ فهو عدو لهما ـ أن يزين لهما ارتكاب المعصية بمقارفة مانهاهما الله عنه ، ان فى القرآن قصة البشرية منذ

خلق الله الكون وارساله الرسل شرقا وغربا (وان من أمة الا خلا فيها نذير) ٠
والقرآن دائم اللفت الى تجربة آدم التى تدور مع الزمان فى كل أمة وفى كل
جيل ٠ حددها الله وحدد أنبياءها ٠ وقوم نوح ٠٠ عاد ٠٠ ثمود ٠٠ من هذه
الأمم ما طوى الله ذكرها عنا ٠

ليست الجنة التى كان بها آدم وحواء هى جنة الثواب يوم الجزاء وانما
هى بمعنى البستان المزهر المثمر حسب التعبير القرآنى واللغوى العام فى
الجنة علم الله آدم الأسماء كلها ، وعلمه البيان ، وعرفه طريقى الخير والشر
(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) واذن ففى الجنة كان تدريب
الله لأن على التكاليف والاختيار وحيث مناط الاختيار تكون الطاعة والعسيان٠
ولم يكن فى مشيئة الله حسب اعلانه الأول أن يكون موطن آدم الجنة (واذ
قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) ومن هنا قال سبحانه لآدم
وزوجه (واذ قلنا ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٠٠ الخ) ٠ وهنا اختار آدم عصيان
الأمر واختار الشجرة المحرمة ٠

الخلق فى القرآن

أربع صور منها ثلاث أوردتها الآية : (يا أيها الناس
اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء ٠٠ الخ) ٠ فالصورة الأولى خلق آدم من غير أم ولا أب ، والثانية
خلق حواء من آدم ، والثالثة خلقنا من آباء وأمهات هم نسل آدم وحواء ٠
أما الصورة الرابعة فهى خلق عيسى من أم دون أب (قالت أنى يكون لى اغلام
ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا) ٠

الخلـــق

خلق فى معرض خلقه آدم (خلق الانسان من صلصال كالفخار) وخلق
حواء من أب بلا أم بعد أن خلق آدم بلا أب ولا أم (يأيها الناس اتقوا ربكم
الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)٠
وخلق الله عيسى من أم بلا أب (فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ٠
قالت أنى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ٠ قال انما أنا رسول ربك لأهب
لك غلاما زكيا ٠ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ٠ قال
كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا)٠

كما وهب الله ابراهيم ابنه اسحق على كبر ، ووهب زكريا ابنه يحيى وهو شيخ وامرأته عاقر ٠

قضت ارادة الله أن يخلق من كل زوجين اثنين من الكائنات (وخلق من كل زوجين اثنين) وفى خلق البشر بدأ بآدم ثم خلق منه زوجة (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) واذن فالخلق هنا بدأ بالأب ومن دون أم ، وفى مريم كان خلق عيسى من أم بدون أب ٠ ولقد يكون الأبوان موجودين ولكنهما شيخان والأم عاقر كما فى حال سارة زوج سيدنا ابراهيم ، وفى زكريا وزوجـــه (أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) ٠

الغيب فى القرآن

ثلاثة عناصر تصنع الغيب ، حدث فى الزمان الماضى ، وحدث سيقع فى الزمان الآتى ، والعنصر الثالث هو المكان يحدث فيه الحدث بعيدا عن الانسان فلا يعلم به ٠

وهذه العناصر كلها يملكها الله وعليها دلائل ضخمة فى القرآن فعن الماضى: (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ٠٠) وكل قصص الأنبياء والغابرين٠

وعن المستقبل : ما أنبأ الله الرسول من حمايته من اعتداء الكفـــار الآيات : (ألم ٠ غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون) وعن النصر فى بدر قال سبحانه (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وعن الانتصار على قريش ودخول الناس فى الاسلام قال سبحانه (اذا جاء نصر الله والفتح)٠ ودلائل عليه ماحدث به الهدهد سليمان (أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ٠ انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم) هذه القدرة من الله فى امتلاك الغيب لا تقارن بها قدرة الانسان المخلوق على الفعل ، فكل فعل انسانى تكونه عناصر فى الفعل ، والفاعل ، وسبب الفعل ، والطاقة المحركة للفاعل والانسان لا يملك أيا منها ملكا يضمن له بيقين فعله فى آنية أو استقبال ٠٠

فى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم تفسير للآية (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) يذكر منها خمسة غيوب :

(أ) علم الساعـــة ٠

(ب) ما ينزل من الغيث ٠

(ج) ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ٠

(د) ما تكسبه النفس فى غدها (وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) -

(هـ) آجال العباد (ما تدرى نفس بأى أرض تموت) ٠

والله الذى له غيب السماوات والأرض لا يطلع من غيبه الا بقدر وعلى من يختار من عباده مثلما نجد عند يوسف والخضر عليه السلام ، وما وعد الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسـلم من نصر أو ما أطلعه عليه من غيوب ٠

الاخبار بالغيب

الاخبار بالغيب شاهد حسى وعقلى للاعجاز ٠ نعم الاخبار بالغيب شاهد حسى وعقلى معا لمن عاصروا الحدث ورأوه ثم عقلوه وفطنوا الى من يسبق بقول الصدق ويتحقق ما يقول بلا تخلف أبدا هو الله : أخبر سبحانه بأنه يعصم الرسول من الناس ، وبأن الروم المسيحية ستغلب ٠

« والله يعصمك من الناس » ومثل قوله تعالى : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ٠٠ ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون) ولا يتعللمتعلل بأن الأمر قاصر على أمور يحدها عصر محمد صلى الله عليه وسلم بل تحت معان وأحداث يخبر بها القرآن غيبا الى آخر الزمان وهو أن كيد الشيطان ضعيف٠٠ حتمية عقاب المشرك واثابة المؤمن ٠٠ لكل انسان أجله المحتوم ٠٠٠ الخ ، ومن هنا فان ما أخبر به القرآن من غيب يتجدد صدقه الى آخر الزمان ٠

ما استأثر اللـه بعلمه

١ ــ يقول الله للملائكته فى سورة البقرة آية (٣٠) : « انى أعلم مالا تعلمون » ٠

٢ ــ ويقول الله للملائكته فى سورة البقرة آية (٣٣) : « قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السماوات والأرض » ٠

٣ ــ ويقول نوح لقومه فى سورة الأعراف آية (٦٢) : « أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون » ٠

٤ ـ يقول سبحانه فى سورة طه آية (١١٠) : « يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » ٠

٥ ـ ويقول سبحانه فى سورة البقرة آية (٢٢٥) : « الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » ٠

٦ ـ ويقول سبحانه فى سورة الأعراف آتيـــا (١٨٧ و ١٨٨) : « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ٠ قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنتأعلم الغيب لاستكثرت منالخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ٠

٧ ـ وهذا فرعون يسأل موسى وأخاه هارون فيجيبان كما يحكى الله سبحانه وتعالى فى كتابه سورة طه آيات (٥٢،٥١،٥٠،٤٩) قال فمن ربكما ياموسى ٠ قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى ٠ قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ٠

٨ ـ يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (آية ٦٣) من سورة الأحزاب ٠

٩ ـ ويقول نوح لقومه فى سورة هود آية (٣١) : « ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب » ٠

١٠ ـ وهذا يعقوب يقول لبنيه فى سورة آية (٨٦) : « قال انما أشكوا بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون » ٠

ويقول عليه الســـلام لبنيه أيضا فى ســـورة يوسف آية (٩٦) : « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله مالا تعلمون » ٠

١١ ـ يقول سبحانه فى سورة المائدة آية (١١٦) : « واذ قال الله يعيسى

ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانـه مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك انك أنت علام الغيوب ٠

١٢ ـ ويقول تعالى فى سورة مريم آية (٦٥) : رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ٠

١٣ ـ ويقول تعالى فى صدد ثواب المؤمنين سورة السجدة آية (١٧) : «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ٠

١٤ ـ ويقول اللـه مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم فى سورة هود آية (٤٩) : « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » ٠

١٥ ـ والله يخاطب نبيه صلوات الله عليه فى سورة التوبة آية (١٠١): « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم » ٠

١٦ ـ ويقول سبحانه فى سورة البقرة آية (٢١٦) : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ٠

ويقول سبحانه فى سورة البقرة آية (٢٣٢) : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ٠

١٧ ـ ويقول سبحانه فى سورة الأعراف آية (٣٨) : « قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى الناس كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ٠

١٨ ـ ويقول سبحانه فى سورة آل عمران وقد جادل أهل الكتاب الرسول فى (ابراهيم) وزعم كل فريق من اليهود والنصارى أن ابراهيم عليه السلام كان منهم أن ابراهيم سبق نزول التوراة ونزول الانجيل ٠ يقول

سبحانه آية (٦٦) : « ها أنتم هؤلاء حججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ·

١٩ ـ يقول سبحانه علام الغيوب فى سورة النحل آية (٨) : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون » ·

٢٠ ـ ويقول سبحانه فى سورة النمل آية (٧٤) : «فلا تضربوا للـه الأمثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون » ·

٢١ ـ يقول سبحانه فى سورة النور آية (١٩) : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ·

٢٢ ـ ويقول سبحانه فى سورة الواقعة آيتا (٦٠ ، ٦١) : « نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين · على أن نبدل أمثلكم وننشئكم فى مالا تعلمون » ·

٢٣ ـ ويقول سبحانه فى سورة الأنفال آية (٦٠) : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » ·

٢٤ ـ ويقول تعالى فى سورة الأنعام آية (٥٩) : « عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلممافى البر والبحر وما تسقط من ورقة ولا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ·

٢٥ ـ يقول سبحانه فى سورة النمل آية (٦٥) : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون» ·

٢٦ ـ يقول تعالى فى سورة لقمان فى آية (٣٤) : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير » ·

٢٧ ـ ويقول سبحانه فى سورة المدثر آيات (٢٦ ـ ٣١) : « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر · عليها تسعة عشر·

وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وماهى الا ذكرى للبشر » ٠

٢٨ ـ ويقول سبحانه فى سورة الجن آيتا (٢٥ ، ٢٦) : «قل ان أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا ٠ عالم الغيب فلا يظهر على غيب أحدا٠ الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » ٠

٢٩ ـ ويقول سبحانه فى سورة الكهف عن مدة لبثهم فى كهفهم آية (٢٦) : « قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض » ٠

٣٠ ـ ويقول سبحانه فى سورة الاسراء من آية (٣٦) : «ولا تقف ماليس لك به علم » ٠

٣١ ـ «ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير»: سورة الحج آية (٨) ٠

٣٢ ـ وفى سورة لقمان من آية (٢٠) : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » ٠

٣٣ ـ ويقول سبحانه فى سورة فصلت من آية (٤٧) : « اليه يرد علم الساعـــة » ٠

٣٤ ـ ويقول سبحانه فى سورة الزخرف آية (٦١) : « وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم » ٠

ويقول سبحانه فى سورة الزخرف آية (٨٥) : « وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون » ٠

٣٥ ـ ويقول تعالى فى سورة الملك آيتا (٢٥ ، ٢٦) : « ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ٠ قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين » ٠

٣٦ ـ يقول سبحانه مخاطبا نبيه عليه السلام فى سورة البقرة آية

(١٨٦): « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

٣٧ ـ ويقول سبحانه فى سورة الأحزاب آية (٦٣) : « يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا » .

٣٨ ـ يقول تعالى فى سورة آل عمران آية (١٧٩)) : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليـــه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم » .

٣٩ ـ ويقول سبحانه فى سورة الشعراء حاكيا عن وصف موسى لله سبحانه وقد سأله فرعون الطاغية عن صفته تعـــالى نفسه آيات (٢٣ ، ٢٨) : « قال فرعون وما رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون .

٤٠ ـ سورة الرحمن آية (٢٧) : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

٤١ ـ سورة الحاقة آية (١٧) : « والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » .

٤٢ ـ سورة الفجر آية (٢٢) : « وجاء ربك والملك صفا صفا » .

٤٣ ـ وهذا فرعون يسأل موسى عن ربه فى سورة طه آيات (٤٩،٥٠، ٥١،٥٢) : « قال فمن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى » .

٤٤ ـ ويقول تعالى فى سورة البقرة آية (٢٥٨) : « ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القول الظالمين » .

٤٥ ـ وهذا ابراهيم يختصم وقومه فى خالق هذا الكون سورة الأنعام آيات (٦ ٧ـ ٧٩) : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ٠ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ٠ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ٠ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » ٠

٤٦ ـ ويقول تعالى فى سورة الكهف آية (١٠٩) : « قل لو كان البحر مدادا لكلمت ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا »٠

« وهكذا لن نجد ذكر الله فى القرآن الا متبوعا بوصف نعمة من نعمه على الناس جميعا أو جزاء لمن آمن أو كفر » ٠

« ان الأسئلة الدقيقة التى كان يسئلها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الله والروح والقدر انما كان مرجوع أكثرها الى اليهود والكتابيين أو المشركين فكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يتلقى الوحى من الله ـ عز وجل ـ من الله جوابا عليها مفحما » ٠

الانســـان والكــون

كثيرا ماتمر لحظات بالانسان يظن نفسه فيها سيد الكون وقد تتكشف له بعض قوانين العلم أو أصبح يمتلك مالا أو سلطانا (كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) ومن هنا يلفتنا القرآن الى التاريخ والى المظاهر الكونية فى السماء ، ففى التاريخ يحس الانسان نضالا فى الزمان ، وفى المظاهر الكونية يوقن نضاليا فى المكان حتى ليقول بعض فلكيى الغرب أن هناك أجراما فى السماء ، الأرض بالنسبة اليها كحبة أرز ٠

الكون هو هذا الوجود الذى كونه الله : ملائكة وجنا وناسا وسماء بما فيها وأرضا بما عليها ، وبحاسة بما تحتويه ٠

فلقد فضل الله الانسان على الملائكة ، فقد أمرهم بالسجود له ، والانسان كا معلمهم فقد أنبأهم بأسمائهم ، وثمت دليل غير ذلك هو ماحكـــاه الله فى سورة النجم عن قصة الاسراء فى تأخر جبريل عن تخطى ما بعد سدرة المنتهى بينما انطلق الرسول محمد يرقى ويرقى حتى بلغ عرش الرحمن ٠ وللملائكة بدورهم مهام مع الانسان وضحها القرآن هى حراسة الكون ، وتسجيل عمل الانسان ، والشهادة له أو عليه ٠٠ الخ ٠

العنصر الثانى : الجن والمسلمون منهم ، ندعهم جانبا فهم اخوة مؤمنى الانس ، أما ابليس والكافرون من الجن فهم أعداء الانسان لهم الغلبة عليه تارات ، وينهزمون أحيانا ، أما المؤمن فلا سلطان لهم عليه ٠

العنصر الثالث : الرسل وهم المصطفون من الانس لتبليغ الرسالات وتنبيه الغافلين من الانس ٠

أما الانسان العادى فعلاقته بأخيه الانسان علاقة نظمها الله لهم محبة وعــــدلا ٠

بقية الكون من شمس ونجوم وبحار ونبات وحيوان يسخر كله للانسان والانسان خليفة الله فى أرضه يعمر الأرض ويجعلها متحضرة ٠

ونظرة المسلم الى هذا الكون أنه وسيلة الى غاية : الجنة فهى غايــــة الغايات وما فى الدنيا من أسرار لم يبدعه العقل ، وانما اكتشف العقل العلم بهذه الأسرار ٠ بينما الكون فى نظر الكافر هى الغاية لا الوسيلة ٠

والكون بعد كله عابد للــه الصانع (وان من شىء الا يسبح بحمده)

موقف المسلم من الكون

تشرح لفظة (الكون) لغويا وفى المصطلح الاسلامى وتعنى الوجود محسوسا أو معقولا بكل مافيه من عوالم : الملائكة ، الجن ، الطير ، الحيوان ، النبات ، الأسماك ، الماء ، الأرض ، المعادن ٠٠٠٠ الخ ٠ وطبيعة هذا الكون ، الاتساق(★) وأنه مسخر لخدمة الانسان ، لأن له قوانينه وسننه التى لا تتخلف ٠

وينظر المادى الى هذا الكون مسقطا المعقول الغائب ومبقيا المحسوس فقط ، وهو ينظر الى هذا الموجود نظرة جزئية يفصل بعضه عن بعض وينسب ما يكتشفه من قوانين على أنه مبتدعها وموجدها ، بينما المسلم نظرته للكون معقولة ومحسوسة شاملة متسقة ، وهى كلها أوجدها الله ، وهى مظهر وجوده سبحانه ، ثم هى من نعم الله على عباده ، وما يكتشفه المسلم من قوانين انما بداية الله الخالق ٠ ووراء ذلك أفكار وأفكار ــ فى هذا الموضوع الحيوى ٠

القضــاء والقدر

القدر فى القرآن يعنى أن ما خلقه اللــه من كائنات قدر سبحانه صفته قبل أن يخلقه من تحديد للمولد وللممات ولصفة الطول والعرض والصحة والمرض والحياة . ثم تجىء لحظة القضاء بالنسبة للمخلوقات فيولد منها من يولد فيما حدد له من أجل ، وهذا كله لا دخل للانسان فيه . يقول سبحانه : (انا كل شىء خلقناه بقدر) أما عمل الانسان من خير وشر فهو يحاسب عليه، ومن هنا فمن ينتحر أو يقتل غيره لم يتدخل فى الموت لأنه مقدور ولكنه يحاسب بما ارتكب من وسيلة محرمة . أما الموت فكان سيحدث سواء لم ينتحر أو يقتل غيره .

حريــة الارادة

فى هذا الموضوع الذى يعجز الفلاسفة أن يحسموا فيه الرأى منذ قديم والى اليوم نقول ببساطة ما أعطانا المضمون القرآنى : ان ثمت أمورا جبرية فى هذا الكون منها كل هذا العالم المرئى وغير المــــــرئى فى الأرض أو فى السماوات والانسان نفسه ككائن حى لا دخل له فى الصورة التى جاء بها الى هذا العالم : « خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) ، (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) ... الخ ، وما يدور داخـــل الجهاز الانسانى من تفاعلات كيماوية ، ومن توصيلات كهربية وعصبية ، وأخلاط السوائل والأنزيمات ، والخلايا والغدد ... الخ . كل أولئك وغيره الانسان فيها مجبر ، يسير وفق الارادة الالهية . ولقد خلق الانسان من الطين وصوره الله فى أحسن تقويم ثم بعدئذ علمه (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) (وعلم آدم الأسماء كلها) وما ينكشف لنا من حقائق الكون قليل (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .. وبعد أن علمنا الله أرشدنا الى طريق الخير وطريق الشر (وهديناه النجدين) (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) .. وبعدئذ فاللــه خلق مواقف للانسان جبرية منها صورة التكوين ومنها الأجل (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) والمواقف الجبرية التى يمتحن الله بها عباده تتركز فى الجانب النفسى وفى الرزق .. (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) . ومن هنا فالانسان تتغير صورة تكوينه يوما بعد يوم بل لحظة فى أثر أخرى . تبعا لتأثره بالموقف الخارجى أو تأثيره هو فيه . ان حرية الارادة تتبين فى سلوك الفرد بازاء المواقف الخارجية منها ما حددناه وهى موضع اختباره من الله ومنها ما يسلكه

العبد نحو طريق الخير أو طريق الشر ، بعد ما بصره الله بما فى كلا الطريقين من ثواب ينتظره يوم الحساب أو عقاب يجازى به يوم القيامة وثمت أيضـــا مواقف جبرية تعهد الله فيها بعصمة الرسول ونصر المؤمنين (والله يعصمك من الناس) (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وتكفل الله بافشال كيـــد الشيطان (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) ٠

ان مما يتفق وحرية الارادة الانسانية مجازاة الله لعباده وهى مجازاة عادلة تبعا لمسئولية الارادة الحرة ٠

يقول سبحانه (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) والله يحول بين الشيطان وبين أن يغوى المؤمنين ويضلهم فانه ليس له عليهم سلطان ٠ (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) (قال فبعزتـــك لاغوينهم أجمعين ، الا عبادك منهم المخلصين) ٠

النشيد الآلهى

لكل أمـــة نشيدها تضمنه معانى تثير حبها موطنها وتعلن فيه على الملأ مفاخرها وتمجيد أبطالها وتقسم على السير على درب الأبطال من الأجـــداد والآباء ، واذا ما أنشد هذا النشيد فى مناسبة حرب أو سلم استثار حماسها وحرك عواطفها للجهاد وللعمل وهذه المعانى كلها متحققة فى هذا النشيدالالهى (الأذان) ، ينشد فى اليوم خمس مرات وكان أول منشد له بصوت ندى واسماح (بلال بن رباح) ودعا الرسول الى أن يردد مع المؤذن السامع مايهتف به المؤذن وهذا كله من خصائص النشيد وسماع الأذان يحرك عاطفة الايمان وتحفز الجوارح الى تلبية النداء الالهى ، وتستحضر هيبة الله وعظمته وتطرح كل شواغل الدنيا (يأيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يو مالجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع) ٠

والحاقا بما ذكر من أن الآذان نشيد آلهى فان تلبيه الحجيج فى مكة وعلى جبل عرفات (لبيك اللهم لبيك ٠ لبيك لا شريك لك لبيك ٠ ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) هو نشيد الهى كذلك تردده الجماعة فى صوت واحد حلو التنسيق ٠

وفى صلاة العيدين تكبيرات وتحميدات هى نشيد الهى تتناغم به جماعة المسلمين الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله

كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا . لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم صلى على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أصحاب سيدنا محمد ، وعلى أنصار سيدنا محمد ، وعلى أزواج سيدنا محمد ، وعلى ذرية سيدنا محمد ، وسلم تسليما كثيرا ٠

مسئولية الكلمة

يقول سبحانه (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وتتخذ الكلمة معانى عدة فى القرآن ومنها قوله سبحانه (ومصدقا بكلمة من الله) ٠ وشدد الله على مسئولية الشهادة وبطلان الزور وجعل كلمة التوحيد (قل هو الله أحد ٠٠) ٠ وأن الكافرين يقولون سفاهة من القول على الله ٠ وفى الصدقة الكلمة الطيبة خير من المن والأذى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) ٠٠ وجعل الكلام ينبى عن حقيقة أخلاق من يجىء به (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ٠٠ الخ) وفى التعامل الاجتماعى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ٠٠٠ (لا يسخر قوم من قوم ٠٠٠ الخ) ٠

وهدى القرآن الى منهج الكلام ، فالنساء لا تجهر بالقول ، والجدال بالتى هى أحسن ٠٠٠ الخ ٠

الاعـلام الاسلامى

امتداد للنقاط التى سجلتها عن (مسئولية الكلمة فى القرآن) تجد أن أدوات الكلام هى : التليفزيون ـ الاذاعة ـ السينما ـ الصحافة ٠ ومهمتها أمران : نشر وتوعية المسلمين بمبادىء دينهم والتفاعل فى ذلك مع أحداث العصر ، وربط العالم الاسلامى بالتعريف بأخباره وعاداته وتقاليده ومشكلاته وبيئاته ٠٠٠ الخ ٠

الأمر الثانى : الدفاع عن الاسلام مما يوجه اليه من هجمات وشكوك ٠

أما حال الاعلام اليوم فمبك ، فهو خاضع لسياسات الدول وأهواء حكامها تحذف أخبار وتحرف أخرى ، وتعطى كل أمة جرعات من الأخبار مشكلة تشكيلا خاصا ليتكون رأيا وفقها ٠ وهو كله اعلام يقوم على التضليل والكذب والنفاق والمراءاة ٠

صورة الدنيا فى القـرآن

فى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم يصف فيه القرآن أن فيه خبر من قبلكم وشاهد ما بينكم ونبا من بعدكم . هذه هى الابعاد الثلاثة : التاريخ الماضى ـ التاريخ المعاصر ـ تنبئوات المستقبل وكلها صدق .

وقد خطر لى خاطر وضع مبحث بعنوان (مدخل الى القرآن) يوضح هذه الجوانب ويعطى مباحث القرآن بأسلوب ومنهج يلائم روح العصر ويحبب الشباب الى الرجوع الى كتابنا الأقدس .

وعن المعاصرة نجد أحاديث الدعوة الاسلامية بشارة ونذارة ... الخ ثم حديث الجهاد ... وأحاديث عن شخصية الرسول . وسلوكه مع أصحابه وزوجاته . مثلا حادثة الافك ـ وحديث المغافير ـ وقصة عبوس الرسول ـ وزينب بنت جحش ـ والثلاثة من الصحابة الذين تخلفوا عن الجهاد .

والأحداث الكبرى : مثل الهجرة والاسراء والمعراج . ومن التنبؤات ما خبر الله به رسوله وتحقق : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ..) ومنا ما أخبر به وتحقق (ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض ..) .

هذا الى حديث عن مجتمعات الشرك والأديان المعاصرة .. والأمم المعاصرة . والخلق والسلوك السائدان . فى مجتمعات العصر .. الخ .

الحيوان فى القصص القرآنى

للحيوان دور هام فى القصص القرآنى .. هذا الغراب يعلم قابيل كيف يوارى سوءة أخيه . وابراهيم يقدم للضيف من الملائكة عجلا سمينا لا تمتد أيديهم اليه . والكبش الذى فدى اسماعيل . وأربعة من الطير التى بها ابراهيم كيفية احياء الموتى .

فى قصة نوح من كل حيوان زوجان اثنان يركبان الفلك ـ وناقة صالح ـ حوت يونس ـ حية موسى ـ هدهد سليما والنمل ـ خيل سليمان ـ الدابة التى أكلت منسأته ـ الجراد والقمل والضفادع وقوم فرعون ـ أصحاب الفيل ـ كلب أهل الكهف ـ بقرة بنى اسرائيل وعجل السامرى . وضرب المثل بحيوانات منها : البعوض ـ الذبابة ـ الحمار ـ النحل . كما أقسم بالخيل : والعاديات ضبحا ... الخ .

مفاهيم خاطئة عن الاسلام

١ ـ الاسلام دين طقوس تتخذ فى المسجد وأماكن العبادة .

٢ ـ الاسلام محجور على العلماء .

٣ ـ استنفذ الدين الاسلامى أغراضه .

٤ ـ الدين يعادى العلم .

وهذا كله من مستوردات الغرب حيث كان الفصل بين الكنيسة والعلم ـ ومحاربة رجال الكنيسة للعلم ـ ومنحهم صكوك الغفران .. أما العنصر الثالث فهو تابع لرأى فرويد الذى قسم مراحل التاريخ الى ثلاث مراحل : عصر الخرافة ـ عصر العقيدة ـ عصر العلم . وفاته أن هـــذه التقسيمات متداخلة فاليوم ثمت خرافة ، واليوم نما العقل وتوقفت الروح هذا الى أن علم اليوم تاريخ للعلم غدا .. الاسلام دين كل زمان ومكان وكل أهـــله مسئولون عن الدعوة اليه .

القــرين

لكل نفس كما حكى القرآن قرين (راجع هذه المادة فى القرآن) . يقول تعالى : (قال قرينه : ربنا ما أطغيته ..) ويقول أيضا : (وأنهم كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) . وفى قصص الأنبياء نجد هذا القرين ، قد يكون ابليس الذى تراءى لابراهيم واسماعيل عند الجمرات . وكذلك فى الحديث أن قرين الرسول لم يغلب الرسول لقوة ايمانه . والله يقول : (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وراجـــع جوانب الموضوع فى كتاب الشيخ شلتوت (الاسلام عقيدة وشريعة) ..

الصنعة والصانع

ان الصانع حين يتعهد صنعته دوما بالاصلاح والملاحظة تظل فى حال من الاتقان والسلامة من العطب . وهكذا حين يخلو الانسان المخلوق خمس مرات كل يوم الى ربه الخالق ، تتهذب روحه ويرق وجدانه ، ويقوى ايمانه ، ثم ملحظ آخر ان فى الصلاة مظهرا لسيادة الانسان فى كون الله ... فالخالق ترك للانسان أن يحدد مكان لقائه بربه ، وزمانه ، ونجواه ، وما ينبغى التحاور فيه مع الله ودعاءه الذى يرفعه اليه .

ثم ملحظ ثالث ٠٠ أن فى الصلاة مكانا لترويض النفس المؤمنــة على مصارعة الشيطان ان الشيطان قد فرغ من أمر الكافر لقد تملكه ، انما مهمة الشيطان ان يغوى المؤمن (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) ثم هو يأتى المؤمن كما يتحدث القرآن من يمين وشمال وامام وخلف ٠٠ جهات أربع أما من فوق فلا لأنها صلة ما بين الخالق والمخلوق ، وأما من أسفل فلا فهى آية خنوع العبد وأصل تكوينه ٠

وبعد ذلك أسرار أسرارفى عبادة الله بالصلاة ٠ تأملات فى مناسبات آى القرآن حيث استمعت الى تلاوة من سورة (ق) وجدت البداية تتحدث عن منكرى البعث ، ثم عن انعام الله على الناس بالماء والنبات تحيا به الأرض وتحيا به الكائنات عليها ، وفى هذا ربط بين الدين والعلم ، فهى مقدمة للبرهنة على الأحياء فى حالين ، حال الجماد ، وحال الانسان ٠

ثم تنتقل الآيات الى حديث التاريخ فتذكر بما حدث للأمم السالـــفة فحديث عما ينتظر لمنكرى البعث يوم القيامة ٠

ان من عجيب الاعجاز فى النظم هنا أنه يحرك بداية حواس النظروالسمع بملكة العقل حين يتوقف بنا عند تاريخ الأمم السابقة ، ثم ما يحركه من انتقال الوجدان ، واثارة العقل أيضا حين يشير الى يوم القيامة وما ينتظر المنكرين وما يقيمه من أدلة على قدرة الله على البعث ٠

ان الآيات تمزج بين الواقع العلمى وبين الواقع التاريخى وبين الغيب الدينى مزجا رائعا تتحرك به كل أدوات الحس ، وكل مشاعر الوجدان ، وكل حركات العقل الذى يستثار ليفكر فيجدد التفكير ٠

حكاية القرآن لتصورات العقل وخطرات الوجدان

فى القرآن أدق مايمر بالعقل من فكر وما ينبض به الوجدان من حس ، والقرآن يصرح بعلم الله بذلك (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقولـه سبحانه (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) (والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) ولعل هذا وجه لم يلتفت اليه فى الاعجاز القرآنى وهو كشف ما يكنه العقل والفؤاد ٠ والذى التفتوا اليه هو وجـــه الاخبار بالغيب بمعنى السبق الى الاخبار عن حوادث لم تقع كالتنبؤ بانتصار الروم مثلا ٠

وعلى هذا فالقرآن يرصد حركة الفكر ودبيب الشعور .

المقياس الالهى والمقياس البشرى

يتجه الناس دائما الى الظواهر والأعراض والأشكال كالجمال والمال والسلطان .. الخ . بينما اتجاه القرآن الى الجوهر ويلخص هذا حديث الرسول (ان الله لا ينظر الى صوركم ولا أموالكم ، ولكنه ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ، القلوب الطاهرة بما تعتقد وتفكر ، فيه من أوامر الله واجتناب محارمه ، ثم الأعمال تترجم ما يتنفس فى القلب الطاهر من فكر وعقيدة وايمان .

معايير السماء ومعايير الأرض

فى الأرض يأخذ الناس بالمظاهر فهذا المصلى فى نظر الناس يؤدى مظهر العبودية لله . ولكنه أداء شكلى فقد جوهره كما يقول الله : (الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) .

والأهل فى عرف الناس هم الزوجة والولد والشقيق ، ولكن عند الله أهل النبى هم اتباعه من المؤمنين بالله فابن نوح ليس من أهله ، فقد قال نوح (ان ابنى من أهلى) ورد سبحانه عليه (أنه ليس من أهلك) .

وكانت العرب تتمدح بالانساب والاحساب ومن لم يرزق الولد يقال له (أبتر) فلما مات ابن الرسول محمد (ابراهيم) شمت المشركون وقالوا محمد أبتر ، فرد الله عليهم (ان شانئك هو الأبتر) بل كل اتباع محمد ابناؤه ، بل كان من أبناء المشركين من ينفصل عن أبيه وينضم الى الرسول محمد محاربا أباه المشرك كابن الوليد بن المغيرة .

وهكذا ففى مفهوم الله كان المسلمون أبناء محمد ، فهو ليس الأبتر بل المشركون .

عن المعايير الالهية

ان الله لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى القلوب ، وهو لا ينظر الى العمل مجردا عن بواعثه ودوافعه ، فلا أجر لمن جاهد يريد الملك أو المرأة أو الاشتهار بالشجاعة . ان الله وحده هو الذى يعلم صدق ما صدر من عمل

لأنه سبحانه خبير يربط بين الواقع العملي وصلة ما بينه وبين النية القلبية والعاطفية الوجدانية ، يقول عليه الصلاة والسلام (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى ، فمن كانت هجرته للــه ورسوله فهجرته لما هاجر اليه ، ومن كانت هجرته لأمرأة يصيبها أو تجارة يريدها فهجرته الى ماهاجر اليه ... الخ) . وثمة حديث نبوى شريف مضمونه أن الاخلاص سر من أسرار اللــه .

اصلاحان اسلاميان

النصر :

نتيجة تلاحم بين فريقين فى معركة . فهو قوة اندفاع حربية .

الفتح :

قوة انجذاب من الناس نحو الدين الاسلامى فرارا من انحـــــراف العقيدة السابقة أو ظلم القائمين على حكمهم ، اذن فالنصر فى الاسلام قوة اندفاع والفتح قوة انجذاب من الناس للدين ... الخ ..

صور قرآنيـــة

تحت هذا العنوان يمكن معالجة موضوعات مثل :

صور قرآنية للانسان فى القرآن ـ صور أخلاقية ـ صور لعقائد فاسدة ـ أو صورة قرآنية للقرآن نفسه بمعنى حديث القرآن عن القرآن ـ صورة قرآنية للرسول ـ صورة قرآنية للرسل واحدا واحدا ـ صـــورة قرآنيـــة للشريعة ـ للتعامل ـ للحرب ـ للسلوك ... الخ .

القبـــلة

فى النصف من شهر شعبان فى السنة الثانية للهجرة أمر الرسول بأن يتجه فى صلاته عن بيت المقدس الى الكعبة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ..) وكان المسلمون واليهود يتجهون الى بيت المقدس تألفا لقلوب اليهود ولكنهم لم يسلموا من أقاويل اليهود والمشركين فلما اتجهوا الى الكعبة زاد حنق اليهود . وللموضوع امتداد فى كتب السيرة .

الأنبياء والرسل فى القرآن

ذكر فى سورة الأنعام وحدها ثمانية عشر نبيا ورسولا ، بينما ذكر فى باقى السور سبعة أنبياء ورسل ، فيكون المجموع فى القرآن كله خمسة وعشرين رسولا ونبيا ، والحديث الذى يذكر أن عدة الأنبياء والرسل هو أربعة عشر ألف نبى ورسول ويزيدون بضع مئات حديث فيه نظر .

وأرى أن ثمة حكمة فى اختيار هؤلاء الأنبياء والرسل بالذات ـ تاريخية ونفسية وجغرافية وعقيدية .. الخ ..

الفاضل والمفضول

يبين الله فى قرآنه أن من الملائكة مفضلين على غيرهم مثل جبريل وميكال. وفضل بعض الرسول على بعض والمؤمنون درجات أعلاها السابقون المقربون ثم أصحاب اليمين . وبعض الثمار برغم سقيها بماء واحد فانه فضل بعضها على بعض فى الأكل . وبعض الأزمنة أفضل من بعض (انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) ، وبعض الأمكنة فضل على بعض (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) .

وقد يشمل الموضوع امتدادات فى نسبية الفاضل والمفضول بالنسبة للخلق فابليس يقول عن آدم (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) . وذو المال والولد يقول (انا أكثر منك مالا وأعز نفرا) .. الخ .

عكس السنن

من دلائل القدرة الالهية فى القرآن اشارته سبحانه الى أنه يستطيع أن يعيد خلق الانسان فيما شاء من مخلوقات .وأن يجعل الظل ثابتا والشمس دالة عليه . وأن يحيل الليل سرمدا أو النهار كذلك .. الخ .

السنن الكونية

ان الكائنات وأحداث الحياة وحركتها على الأرض وفى السماء تجرى وفقا لسنن اللــــه الكــــونية (راجع سنة الله فى المعجم المفهرس للاتيان بالشواهد) .

فمثلا الرسل السابقين كان لهم معجزات حسية وأخرجهم أقوامهم من من ديارهم ولهذا حل بهم العذاب عاجلا فى الدنيا . أما الرسول محمدفكانت معجزته معنوية وقدر الله ألا تخرج قريش الرسول بل الله أمره بالهجرة (وان كادوا ليستفزنك من الأرض ليخرجوك منها أو يثبتوك واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا ..) وكانت العادة ألا يتزوج الأب زوجة المتبنى وشق على الرسول أن يأمره بالزواج بزوجة ابنه بالتبنى زيد خوفا من قالة القائلين فجاءه الله أن سنته ألا يبالى الرسل بما يقول البشر . ولذلك جرت سنة الله أن يهزم الرسول اليهود بالمدينة ومن بعدهم المنافقين ، وأن ينتصر المؤمنون دوما على الكافرين وأن تأخر هذا النصر فلحكمة الهية ولكنه فى النهاية واقع. كل هذه سنن الله وليس عبثية الكون كفالة الملحدين .

القرآن معجز فى كل زمان وكل مكان

اذا كانت الآراء فى الاعجاز تتعدد فهو معجز ببلاغته أو باخباره بالغيب أو بالصرفة ... الخ . فانا نقول أن القرآن معجز بشكله ومضمونه فى مجتمعات زمانه وفيما يحدث من مجتمعات لأن اعجازه فى كل زمان وكل مكان هو معجز ببلاغته فقد كان عـــرب زمانه بلغاء وهو قائم بهذا الاعجـــاز البلاغى .

لكل مجتمع اسلامى بعد البعثة المحمدية يبلغ ما بلغ من نهضة أدبية أو بلاغية وهو معجز باخباره بالغيب لمن آمنوا بكلماته زمن نزول القرآن وهـــو معجز بعد ذلك لكل مجتمع فانه فى التنجيم والكهانة لمحققات بابل وآشـــور والمصريين القدماء وفارس ولمن يجد بعد البعثة الاسلامية .

وهو معجز بعلمه لمجتمعات العلم زمن الرسول وهم الرومان وورثـــة اليونان والمصريين القدماء ولكل مجتمع اسلامى ينهض بعئذ علميا وهو معجز بقوانيه وتشريعاته كالمجتمع الرومانى والفارسى والمصرى القديم زمن نزول القرآن ، وهو كذلك معجز للمجتمعات الاسلامية التى ترقى ماترقى اجتماعيا وقانونيا .

وعلى هذا فقد كان القرآن معجزا لكل مجتمعات عصره وهو أبـــدا معجز لكل المجتمعات الى يوم الساعة وهكذا فللقرآن معطياته الأعجازية .

القرآن والسنة

كثير من الآيات تتحدث عن مهمة الرسول المفسر الموضح المبين للناس ما نزل اليهم من ربهم ليأخذوا بما يأمرهم به .. وينتهوا عما نهاهم عنه .. فالسنة لسنا متعبدين بألفاظها ولكننا متعبدون بالفاظ القرآن وان كانت المعانى فى كليهما النبية . ومن هنا فالسنة مفسرة لما فى القرآن الذى نحن متعبدون بألفاظه ولو كان كلا من السنة والقرآن متعبدين بألفاظه لكان العسر والمشقة ، ومن هنا لازمة السنة للقرآن شرحا وتفسيرا وتفصيلا لما أجمل ولا حجية فيمن رأى الآية (ما فرطنا فى الكتاب من شيء) فالمعـنى الاحاطـة المجملة للآجال والأرزاق والكائنات .

الكتاب والسنة متوافقان فى كل زمان ومكان

من المباحث الخطيرة موافقة أحاديث الرسول أو سنته للقرآن فى المفهوم، أى المعانى ، وفى التطبيق ، ولما جدت بالمسلمين حاجات عملية نجد السنـة تتجدد مع هذه الحاجات فتلبيها رأيا وقضاء ، ويمكن مراجعة أحاديث الرسول لمعرفة ماجد على الناس وكذلك آثار صحابته ، بل انا نعرض بعض مفاهيم القرآن كحد السرقة الآن فنجد أنه الحد الوحيد الرادع لضبط الأمن وقضية العنصرية حلها فى مساواة الاسلام ومشكلة المال فى المجتمع الانسانى حلها الوحيد فى القرآن وهكذا .. الخ .

الملائكة

بالرجوع الى القرآن وكتب الصحاح فى الحديث نجد أن الملائكة منبثون فى السماء وفى الأرض فمنهم حملة العرش ، ومنهم خزنة الجنة والنار . ومهامهم متعددة فمنهم الموكل بالوحى كجبريل وبالموت كعزرائيل ... الخ . وفى الأرض منهم سائحون يغشون مجالس الذكر ، ويقفون على أبواب المساجد فى الجمع والأعياد ، ويقفون بين يدى البشر يحفظونهم ، والكعبة .. الخ .

دور الملائكة فى بدر

(تراجع الآيات) : مما قال سبحانه (فاستجاب لكم ربكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين .. سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب . فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان .. وما قتلوهم ولكن الله قتلهم .. (وما رميت

اذرميت ولكنالله رمى) وبعض المفسرين يرى أن دور الملائكة كان دور الجيش السماوى المقاتل والبعض الآخر يرى أن الأمر لو كان كذلك لكفى ملك واحد لتدمير جيش الكفار فى بدر وانما المقصد تثبيت المؤمنين وانزال السكينة فى نفوسهم أو يحاربون والله وجنده يقفون منهم بالتأييد والنصر الأكيد المعقود لهم ، لو أن الحرب مالت لغير صالحهم ولهذا فعبارة (فاضربوا فوق الأعناق) هى موجهة للمؤمنين • والآيات تتخذ أسلوب التلوين الخطابى فيما يعرف عند البديعيين بأسلوب الالتفات •

أدب الدعاء

يقول مجتهد معاصر (الاستاذ أحمد حسن الباقورى) أن فى قولـــه سبحانه : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) أن هذا لا يعنى أن يحقق الله رجاء الداعى فى أمر من أمور الدنيا لأن معنى هذا الدخول فى باب الكسل والتواكل وعدم الابتلاء ولكن مع ذلك ففى رأيى أن يدخل فى باب التواكل من أمور الدنيا وبلا تغيير فيما قدره الله على الانسان ومارآه مصلحة لعبده فانه يجوز دعاء الداعى فهذه دعوة ابراهيم تتناول أمور الدين والدنيا (رب انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ••)وكذا دعوة موسى (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى ••) تتناول الدين والدنيا وكذلك زكريا (فهب لى من لدنك وليا ••) والموضوع متسع •

سماحة الاسلام

لا يعرف الاسلام عصبية دينية فاليهودى قد يكون أمينا وقد يكون خائنا (ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما) • والمسيحيون أقرب مودة الى المسلمين (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) •

واذا كان هناك عداء بين الوثنية وكانت تمثل قمتها دولة الفرس وخلاف بين أهل الكتاب والاسلام وتمثله دولة الروم فان هذا لم يمنع الرســـــول والمسلمين من الحزن حين هزمت فارس الوثنية دولة الرومان الكتابية ووعد الله المسلمين بانتصار الروم على الفرس فى بضع سنين • ومفهوم العقل يلغى أى عصبية أو خلاف (يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا

نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) فقدم الاشراك وعدم اتخاذ الأرباب من دون الله وتوحيده قضايا فى مفهـــوم العقل لا يتحالف عليها مؤمن . والاسلام يؤمن بجوهر الاديان السماوية كلها ولا يتعصب ضد رسول أمة فكل الرسل والأنباء فى الاسلام موضع اجلال (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) .

موقف الاسلام من الأديان الأخرى

قوله سبحانه (ان الدين عند الله الاسلام) وقوله (ومن يبتغ غـير الاسلام ديناً فلن يقبل منه) وقوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) اشارات واضحة الى ان النبع الالهى هو الاسلام تصحح به تصورات عن الاله فى الديانتين اليهودية والمسيحية . ولكن اليهود تصوروا الاله تصورا ماديا وكأنه بشر تجرى عليه مقاييس البشر من أهواء ونقصان . ومفهوم العقل فى وحدانية الله يخالف هذا التصور فلما نزعت اليهودية هذا النزع المادى كان لابد من منزع روحى صرف ، وهـــذا ما جاءت به المسيحية من قيم روحية تعدل الميزان المادى وكان أيضا فى المسيحية تصور عن الاله خالفه قوله سبحانه فى القرآن (ليس كمثله شيء) (.. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

ان الله لا يدرك بحاسة لأن ما يدرك بالحواس تمتلكه هذه الحواس ، فما تراه العين تحيط بأبعاده وينكشف لها كل شيء فيه . وليس كذلك الاله الذى ترى آثاره ولا يرى بذاته ولعل فى آيات (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوهم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهـــم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) . ما يشير الى أن اليهودية تنقصها القيم الروحية بينما المسيحية تنقصها حركة الحياة المادية وهذا ماجاء به الاسلام ، ورأيت فى أركان الاسلام وفى كل عناصره هذا المزاج المعتدل بين المادة والروح فالأديان ايمان بالقلب وتصديق بالعمل والصلاة حركات واعتقاد وكذلك الحج والزكاة اعتقاد وحركة فى المجتمع والصوم اعتقاد ومسلك . ويرادف الايمان فى القرآن دوما عمل الصالحات والروح معها المادة فى قوله (فاذا قضيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) .

الزمن في القـــرآن

اعطى القرآن للزمن وتنظيمه قيمة كبيرة في القرآن ، فأقسم بالزمان (والضحى والليل) . والفجر وليال عشر) .. وقسم الزمان قسمة عريضة: الدنيا والآخرة ،وأقسم بيوم القيامة وأبان في تقسيمه للتشكل الانسانى ومراحله فلكل مرحلة زمان يعقبها الموت فالحساب (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) ، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) . وأبان الله في مراحل عمر الانسان مواطن القوة والضعف . فسن الأربعين ذروة القوة بعدها من يعمره ينكسه الله في الخلق كيف يشاء .

وجعل للحائض وقتا بعده تطهر ،وعدة المطلقة ، وأوقات فيها تتــــم الكفارات ، والحمل والفصال له أوقات وكل عبادة من عبادات الاسلام لها زمان (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر) . وجعل الاذان بداية وقت الصلاة (ان الصلاة كانت على المؤنين كتابا موقوتا) والحج أشهر معلومات ، والصيام له شهر ووقت امساك ووقت افطار ، وكذلك الزكاة ... ان الاسلام دين نظام يعرف قيمة الوقت للانسان في دنيـــاه وأخراه .

الصناعات

ورد في القرآن ذكر للمواد الخام التي تقوم عليها مختلف الصناعات المدنية والحربية وفيها اشارات الى ما ينبغي توخيه في الصنعة من الاتقان .

ففي آيات (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) ، وعن داود (وعلمناه صنعة لبوس) (وألنا له الحديد) (أن اعمل سابغات وقدر في السرد) . وسليمان كان له الجن يصنعون ما يشاء من تماثيل ومحاريب وذو القرنين كان يعمل السد ويفرغ عليه القطر أي النحاس . ونوح عليه السلام صانعالسفينة ذات الألواح والدسر .

(وارم ذات العماد) كانوا ينحتون من الجبال بيوتـا ويحـوبون الصخر بالواد .

اقتران التوحيد بالاحسان الى الوالدين

يقول سبحانه (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ٠٠) وفى موضع آخر (٠٠ وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ٠٠) ٠

والتطبيق العملى معروض أروع عرض فى القرآن فحين الطوفان يستغيث نوح بربه لينقذ ابنه الضال ٠ لكن الله يعلمه أن الدين فوق عاطفة الأبوة ، والتوحيد فوق الروابط العاطفية الأسرية (انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح) ٠

وهذا ابراهيم يوالى نصيحة أبيه بعبادة الله الواحد ،ولما يرى منه اعراضا يقول مع يأسه من ايمان أبيه (سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا) ٠ بل هو يدعو بعد اذ أتم بناء البيت (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربى لسميع الدعاء ، ٠٠٠ رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ٠ وقصة ابراهيم وهاجر واسماعيل رمز حى لاقتران التوحيد بين الوالدين فجرى هاجر بين الصفا والمروة بحثا عما يبقى الحياة على وليدها من شربة ماء هذا السعى بين الصفا والمروة أصبح شعيرة من شعائر الحج ونجدها الى اليوم فى نبع الحياة (زمزم) ٠

أما شعيرة الفداء أو ذبح الهدى فترمز الى سمو عاطفة الايمان فوق عاطفة الابوة والبنوة معا ٠ (يابنى انى أرى فى المنام أنى اذبحك فانظر ماذا ترى٠ قال يأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ٠ فلما أسلما وتله للجبين ٠٠٠٠ الخ) ٠ وحاول ابليس اغراء ابراهيم بالرجوع عن تنفيذ أمر ربه فى ذبح ابنه ، ومن هذا رمى الجمار رمز الهزيمة للشيطان ٠

وها هى ذى عاطفة الأمومة تتحرك فى آسيا زوجة فرعون حين ترى الوليد موسى (لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) ومع ذلك فقد دعا موسى فرعون وهو الذى رباه الى التوحيد ٠ فلما استكبر كان غرقه وموسى يشهده ٠

وهذه امرأة عمران تنذر أبنتها لخدمة الله ، ويدعو عيسى ويحيى الأول لأمة والثانى لأبويه (ابرا بوالدتى) و (برا بوامديه) ٠

وأول وصايا لقمان لابنه التوحيد (يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) ٠

ان كل أبوين رمز للأبوين الأولين آدم وحواء وخلقهما دليل ساطع على وحدانية الله المتفرد بالخلق ٠

ليس أبلغ فى باب حنان الأب من قصة يعقوب الذى بكى لفقد ابنـــه يوسف حتى ذهب ببصره ولم يرجع اليه نور الرؤية الا حين شم قميص ابنه ايذانا بلقائه ووجوده حيا ٠

احسان

وقد وردت كثيرا جدا فى القرآن لتشير الى معانى الجمال الخلقى ، وهى على هذا تجمل كل الفضائل الخلقية حتى لتقترن بالتوحيد (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) ٠

المظاهر النفسية وكيف تتبدى على المظهر الخارجى للانسان

فى الرضا والاطمئنان يقول سبحانه (فكلى واشربى وقرى عينا ٠٠) وفى موضع ثان (فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن) ٠ وفى مظاهر الفزع (٠٠ واذ زاغت الأبصار) ٠٠ (ثم عبس وبسر ٠٠٠) ٠ ويقول سبحانه (والتفت الساق بالساق) ٠٠ (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) ٠٠ وفى صفة المؤمنين (سيماهم فى وجوههم وأيضا الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) ٠

معانى الأخـــلاق

يعالج هذا الموضوع بالقرآن بعرض الصورة الأخلاقية كما توصل اليها الفكر ٠ سئلت عائشة عن خلق الرسول فقالت : كان خلقه القرآن ، ولقد وصفه القرآن فقال : (وانك لعلى خلق عظيم) ٠ ويقول الرسول (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) ٠ فكل ماجاء فى القرآن من معالى الأخلاق وما نهى عنه القرآن : أولهما اتبعه الرسول وتحلى به والثانى تخلى عنه ٠ وهذه آية صدق الرسول واعجاز فى سيرته صلى الله عليه وسلم ٠ قال سبحانه : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) ٠ وباب الأخلاق فى القرآن باب وسيع ٠

لأخـلاق

ان مشكلة العالم المعاصر تكمن فى أن داءها هو الافتقار الى الأخلاق وهو الدواء الذى جاء به الاسلام متفقا مع رقى العقل البشرى ، قال الرسول (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) و (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وصرح القرآن بأن الرسول على خلق عظيم وأنه أسوة لعباد ٠

الحضارة الرأسمالية تقوم على الانانية الفردية ولا تحس بالمجموع ، والحضارة الشيوعية وان تعللت بالانسانية وتمسحت بالمجموع فان هـــذا كله وسائل لأنها تقوم على الصراع الدموى الطبقى لصالح فئة معينة هى العمال تشكلهم ليصبحوا كالآلات مسخرين لمبادئها بينما تحتكر الحكم والسلطة والمال طبقة الحكام وهى أشد ثراء من الرأسمالية ٠

الأخلاق فى القـرآن

يعالج هذا الموضوع فى القرآن بعرض الصورة الأخلاقية كما توصل اليها الفكر البشرى وعرضها أحمد أمين فى كتابه (مبادىء الأخلاق) ثم تعرض بعدئذ للصفات الخلقية والسلوكية فى القرآن سواء بالعرض المباشر أو فى تشكيلات أدبية كالقصة أو المثل أو الحوار ٠

اعادة اكتشاف القيم الاسلامية

نعم فى هذا العصر الذى تتجاذبه قوتان عظميان هما روسيا وأمريكا ٠ نتوقف عند الأسس التى يقوم عليها بناء هاتين الحضارتين ٠ ونبدأ بروسيا التى بعد أن انسلخت من عصور القيصرية ادعت أنها تقوم على أساس انسانى لا يسلب الانسان حريته ويجعله مساويا لأخيه الانسان ، ولذلك جعلت المال ملك الشعب كله ، وجعلت طبقة العمال هى القاعدة الشعبية العريضة التى يستند اليها الحكم ، مما جعل هذه الطبقة تحيا حياة الآلة فتدور وتدور بلا حس ولا تفكير ثم هنالك الطبقة الحاكمة أو رئاسة الحزب الشيوعى وهم بحسب مثاليات الفكر الشيوعى أعضاء منتخبون متساوون مع أبناء الشعب ولكنهم مفروضون بقوة الارهاب وهم يكونون طبقة رأسمالية تعيش فى واد والشعب فى واد آخر ٠

واذن فالشورى صورة زائفة ــ والمساواة صورة زائفة كذلك ٠٠ على

أن هذا كله لا يكون إلا بالصراع الطبقى الدموى يتخلص فيه من المعارضة التى يسمونها الرجعية واذن ليس هناك حرية للرأى ولا مجاهرة الا بمايقوله رؤساء الحروب · بقى بعد ذلك وقيل ذلك أن الدولة علمانية لا تعترف الا بالعلم والمادة وتتحلل من قيم الدين والأخلاق جعلت من الانسان حيوانا كل همة أن ينتج ويأكل سادته · ومن أدعوا الانسانية نشروا مبادئهم فى الخارج أولا بالخداع الدعائى ثم بعد ئذ بالسلاح يثيرون فئات على أخرى ويشككوا فى الدين ويتخلصون من صنائعهم اذا استنفذوا أغراضهم · ويستبد لونهم بآخرين · فالوسيلة عندهم تبررها الغاية والغاية سيادة الالحاد بقوة السلاح ·

تحدثنا عن الأيديولوجية الشيوعية · أما الغرب وأمريكا فيسمون أنفسهم العالم الحر القائم على الديمقراطية وحرية التفكير والتعبير والاعتقاد وحرية رأس المال · لكن الفكر شىء والتطبيق شىء آخر ، لقد استعمر الغرب دول العالم ، اقتسمه ونزح كل ثرواته واسترق الشعوب وبخاصة العبيد الذين كانت جماعاتهم تباع فى أسواق النخاسة وانتقلت منهم طوائف الى أمريكا · وأمعن الاستعمار الغربى ففرض لغته على شعوبه المستعمرة وكذلك بشر بالمسيحية وفرق بين أبناء الشعب الواحد ورأت دول الاستعمار الغربى أن الدين الاسلامى قوة تهدده فحاولوا التشكيك فى عقائده ورجاله واتهموا المحافظة على دينه بالتعصب ونشروا فكرة العلمانية مثلما حدث فى تركيا وشجعوا على توسيع شقة الخلاف بين الشيعة والسنة — والدروز والبهائية وسمحوا لفرق أخرى ملحدة ادعاء الاسلام كالقاديانية فى الهند ، وتحيزوا للمسيحيين فى البلاد المستعمرة فكانوا يمنحونهم درجاتهم العلمية الكبرى مثلما حدث فى مصر وسوريا ولبنان وغيرها ·· وورثت أمريكا العالم الغربى فزرعت اسرائيل وسط الدول العربية والاسلامية تمتص جهودها وتوقف سير نهضتها وتزيد من تمزيق العالم العربى والاسلامى · وحانت الفرصة للشيوعية فقد أخذت هى الأخرى تمد بالسلاح معاونى أمريكا واسرائيل ، وتشغل الناس بأيديولوجيتها عن عقيدتهم الاسلامية ، وأصبح الاسلام هدفا لقوى عديدة : الغرب المسيحى ، الشيوعية ، الصهيونية · الى أمر آخر أكثر ايلاما وهو حرب المسلم لأخيه المسلم ، مثلما حدث فى الصومال من حرب أبناء عدن مع الأحباش الشيوعيين ضد الصومال المسلم ، وحارب العربى أخاه العربى بأمر من الغرب أو الشيوعيين ·

مساوىء حضارة اليوم ـ غربية أو شيوعية

فى هذا الموضوع يمكن رد كل شيء فى هذه الحضارة الى مجال المقارنة بينه وبين ما سبق به الاسلام . هناك الاحتكار العلمى ، سواء علوم الذرة أو تكنولوجيا الأسلحة والدواء والطب والفضاء والصناعة ... الخ .. تحتكر الدول الغربية والشيوعية هذه العلوم وتضن بها على غيرها بينما فى الاسلام العلم متاح للجميع .

احتكار الثروات الطبيعية للشعوب الأخرى أو الضن بما بما أفاء الله عليهم من خيرات فى مساعدة الشعوب الفقيرة . وفى الاسلام يمتدح المؤمنين ومن صفاتهم أن فى أقوالهم حقا معلوما للسائل والمحروم .

وتعامل الدول المتحضرة غيرها من شعوب الدنيا على أنها أجناس أدون والاسلام يقول (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وفى مجال الحرب تنوعت عند أمم اليوم الكبرى فهى حرب على المدنيين بالميكروبات وبالغازات والمواد الكيماوية المهلكة للحرث والنسل ، وبالاذاعات والصحافة والشائعات والحرب النفسية الضاغطة على الأعصاب . وبالقنابل المدمرة للبيوت والعمران . وأصبح اختطاف طائرات الركاب المدنية واحتجاز الأبرياء من ركابها أو من موظفى الدعارات الأجنبية وتهديدهم بالنسف أو القتل نظير فدية أو تحقيق مطلب . وتهديم المدارس على أطفالها أو مكانا عاما يرتاده جمع من الناس بوضع المتفجرات لابادة أكبر عدد بسبب خصومات سياسية أو أحداث قلاقل ، واستخدام الكهرباء وغسيل المخ لأغراض التجسس أو الاجبار على معرفة معلومات .. الى عديد وعديد من مجالات الاستهانة بالكرامة الانسانية والتحلل من كل قيم الخلق والدين . وأصبح انتشار اللواط والزنا تفريغا للكبت وشرب الخمر والمكيفات اطلاقا لملكات الابداع . ومن عجب أن التحرر بلا قيود فى المجتمع الغربى أفضى الى المرض النفسى بينما الكبت للحريات فى المشرق العربى أفضى الى نفس المرض النفسى .

حركة التعامل فى الحياة

يدعو القرآن الى حركة الانسان فى هذا الكون حركة ترتبط بضرورات الحياة لدى كل انسان ووفقا لنظام الطبقات وتبادل المصالح ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ، فيقول سبحانه (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) .

وفى العيد الأسبوعى للمسلمين بعد أداء صلاة الجمعة يقول سبحانه (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) وأشاع الاسلام جو الثقة ضمانا لسير حركة التعامل بين الناس وبين الدائن والمدين شهادة مكتوبة موثقة (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا ٠٠) وطلب من الناس الشهادة على أنفسهم وعدم حماية الفقير فى اكله لحق صاحب المال اذا كان غنيا وادان هذا الفقير ٠ وفى ذلك كله حماية للفقير نفسه كى يجد كل محتاج العون حين يريد ويعبر عن ذلك الاقتصاديون بجو الثقة والاستقرار ٠

التحـــرير

مضمون التحرير فى القرآن شامل عميق الغور فتوحيد الله تحرير له من الشرك والارتفاع بمستوى الانسان الخلقى والاجتماعى تحرير له من شهوة الغرائز الدنيا ودعوة الناس الى التأمل فى كون الله تحرير للعقل من الجمود والتفكير واعطاء المرأة حقها من التكريم والعدل تحرير لها من المهانة والدعوة الى تحرير الأرقاء تكفيرا عن ذنوب مثل الظهار أو الحنث فى اليمين ٠٠ الخ والاقرار بمبدأ المكاتبة أى أن يشترى العبد حريته بالمال مبدأ يدعو اليــــه الاسلام والوصية بتحرير الرقيق بعد موت مالكه وهو ما يعرف بالمدابرة مبدأ اسلامى كذلك ٠ وفى هذا السبيل الحض على عدم اكراه الرقيق على البناء فان أكرهت الاماء على ذلك فالله غفور رحيم لأنهن واقعات تحت سطوة ظالم يمتلكهن من البشر ٠

الحريـــة

ليست الحرية من مستوردات الحضارة الغربية بل هى أساس اسلامى خطير ، فهو يدعو الى حرية الفرد والمجتمع والوطن والمواطن والرأى والتملك ٠٠٠ الخ ٠ وأول مبادئه تحرير الفرد من الشرك والجهل والتقليد ، وجعل كفارات بعض الذنوب بتحرير الرقيق ، والمؤمن (لا يخافون لومة لائم) كما بين القرآن ٠٠ وحرية التملك لا تبيح للآخرين الاعتداء بالغش والعبث (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) ٠ ومن جو الحـــرية فى الاسلام أداء الشهادة (ومن يكتمها فانه آثم قلبه) وتوفير الضمانات للمدعى عليه بشهادة الشهود ، وكذلك كتابة الدين للدائن والمدين كفالة لحقهما ومنعا للتشاغب ولا اكراه حتى فى الدين (لا اكراه فى الدين) والدعوة الى الله بالتلطف والرفق (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ٠٠) ٠

والموضوع خصيب يثير الفكر ويوقظ الوجدان.

قضية العمل فى القرآن

تشير الآية الكريمة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ٠ منها قانون العمل : وقل اعملوا والرقابة والمتابعة ٠٠ ظاهرية وباطنية : فسيرى الله ٠٠٠ الخ ٠ بينما المتابعة فى قانون العمل عند البشر متابعة ظاهرية والجزاء أو الحساب : وستردون الى عالم الغيب والشهادة ٠٠ الخ ٠ ووراء ذلك أبعاد وأبعاد فى القرآن ، فثمت حوافز دنيوية للانتاج (٠٠ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء ٠٠٠) ٠

الاطار العام للمضمون القرآنى

بالاستعانة بكتاب (جول لا يوم) تفصيل آيات القرآن الكريم يمكن رسم اطار عام للمضمون القرآنى ٠ بداية بقضية خلق الكون وعوالم الأرض من جماد وانسان وحيوان ونبات وعالم السماء من شمس وقمر وكواكب وما وراء هذا المحسوس من عالم الملائكة والجن وعالم الآخرة من جنة ونار ٠ ثم ما قصه القرآن من قصص الأولين ٠

وفى مثل خلق الانسان فى القرآن تجمع الآيات المتصلة مادة خلق الانسان ومراحل خلقه ، ثم تتبع القرآن لهذه المراحل بالوصف المعجز ٠
ان مثل هذا العرض للمضمون القرآنى يجمع الموضوعات المتشابهة فى موضع واحد يسهل على القارىء المعاصر فهم القرآن فهما عميقا ٠

الســـور

مثال ذلك الثلاث آيات الأخيرة من سورة النحل فالسورة مكية وهذه الآيات مدنية وللاستاذ محمد قطب دراسة فى هذا المجال تشمل القرآن كله فى كتابه (دراسات قرآنية) ٠

فى مجال الآيات المدنية المضمنة فى السور المكية والآيات المكية المدرجة فى السور المدنية ليس هناك لا الاعتبار المكانى ولا الزمانى هو المعول عليـــه وانما الاعتبار المعنوى سواء فى السياق الخاص للآيات أو فى السياق المعنوى العام للسورة كلها ٠

من بين آلاف الأفعال ، ومن بين عديد التكاليف اختـــار الله سبحانه أول الوحى لنبيه الأمر بالقراءة وتحصيل العلم ٠ ومع أن هذا المفهوم الاسلامى الأول هو الحث على العلم والقراءة فالعرب ـ دون الغرب ـ أمة غير قارئـــة ولا باحثة عن العلم ٠

مفهوم ثان هو النظافة مظهرا ومخبرا ، ونظافة المظهر فى الوضـــــوء والغسل ترمز الى وجوب نظافة باطن هذه الحواس ، فمسح الرأس ، اشارة لنظافة الفكر وصحة الخاطر ، ومسح الأذن لسماع طيب الكلام ٠٠ الخ ٠ أما نظافة الداخل فهو رمز الفضيلة ورفيع الأحاسيس وجداننا ٠

أمام قوله سبحانه (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) ٠ تشير الآيات الى الوحدة القومية والقولية والنفسية اذ يطرح الحجاج تعصبهم لأقاليمهم واشتغالهم بالأهل والولد وما ان جاءوا الى بيت الله الحرام حتى توحدت أفعالهم وأقوالهم ومشاعرهم ، وهنا جمال الامتزاج فى وحدة القول والفعل والشعور وتوحدهم فى ذلك كله يشير اليه مظهرهم وهم بزى الاحرام ووراء ذلك رموز ورموز للتأمل ٠

الترغيب والترهيب

يحلو لبعض الطاعنين فى الاسلام أن يروا أن الله عند المسلمين يبدو فى صورة مخوفة مرهوبة وليس الأمر كذلك بل نقول لو بدا فى صورة متسامحة لينة لفشا التحلل من أمور الدين اتكالا على مسامحه ولين الله ، ولو كان مخوفا كما يقولون مطلقا لكان خلقه أذلاء جبناء لا يحبونه ولما أخاصوا له العبادة ٠ ولكن تحليل صفات الله عند المسلمين تبدو فى أن الله متسامح فى كل حين بشرط عدم الاصرار على المعصية بخوف حين الاصرار حتى لا يستهان بأوامره ٠

الاخـــوة

يؤكد القرآن فى أكثر من موضع أخوة المسلمين (انما المؤمنون اخوة) (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ٠ وكذلك أعطى القرآن أرفع الأمثلة فى هذا السبيل (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ٠ وان السخرية والغمز واللمز والانتقاص من الاخوة الاسلامية يعنى أن الانسان ينتقص من نفسه (ولا تلمزوا أنفسكم) ٠

فى ضوء هذه الاخوة فصل الحديث النبوى ما ينبغى للمسلمين من سلوك

تجاه بعضهم (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ووجب ستر عورات المسلمين (من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) . ومن يبتغ عورات اخوته فانه آثم ولعل في التغليظ في عقوبة رمى المحصنات ما يؤكد هـــذه الحقيقة . ان المؤمن مرآة أخيه . بل واذا كان الله يستر الخطائين فعليهم ألا يجاهروا بفضح أنفسهم . وكل هذا وقاية للفرد وللمجتمع معا .

اخوة العقيدة

ان الرابطة الدينية في الاسلام أقوى من رابطة الدم والنسب ، ولعل في قول نوح عليه السلام وهو يناجي ربه طالبا استثناء ابنه العاق من الغرق قال (.. ان ابنى من أهلى ..) وكان الرد من الله (انه ليس من أهلك .. انه عمل غير صالح .

وفى التاريخ الاسلامى حادث جلل فريد فى تاريخ الدنيا وهو حادث هجرة مسلمى مكة الى المدينة وهنالك آخى الرسول بين المهاجرين والأنصار وبدت من الأنصار مظاهر فريدة فى السلوك الانسانى حيث آثروا المهاجرين بالمال والسكنى وحتى بالزواج ممن له أكثر من زوجة .

وفى القرآن نجد من صفة المؤمنين تجاه اخوانهم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) . وثمة آداب وآداب من مثل عيادة المريض لتقويةروحه المعنوية وليرى من العظة فى قوى أقعده المرض .. وآداب تجاه الجار : ففى الحديث (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أن سيورثه) .

ونلمح قوة واصالة هذه الرابطة فى حديث الرسول (كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه) . وفى قوله عليه السلام (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

صور النفاق

تعرض القرآن فى سورة البقرة وفى خلال سور القرآن كله لصور من النفاق باعتبار النفاق أخطر من العداوة الصريحة أولا ثم لأنها من محبطات العمل وان بدا صالحا كالجهاد للتباهى بالبطولة أو أخذ الغنائم أو أسر النساء والكذب ولين القول ومعسوله (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون) ، (أرأيت الذى يكذب بالدين ..) وفى أحاديث الرسول أن من علامات النفاق الكذب والفجر فى الخصومة والخيانة والغدر ..

الريـــاء

ملخص الآية (ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ..) فاظهار فعل الخير هنا للاقتداء والتأسي . أما الأحسن فهو الاخفاء . ان الاسلام يحارب الرياء فيقول عن المصلين المرائين (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) .

ونعى الاسلام على من ينفق ماله رئاء الناس ، ان شهرة الانسان بفعل الخير والصلاح هي بشارة الله له في الدنيا . وثمرات الأعمال الطيبة تظهر في المجتمعات الاسلامية ان أريد بها وجه الله خالصا . لا للسعي بالقول أو الفعل لاكتساب سمعة يقول (كبر مقتا عند الله ، أن تقولوا مالا تفعلون) .

النموذج الانساني العام

النموذج العام للانسان الذي يعرض لأخلاقه وخصائصه وسلوكياته العامة ، مثل (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) . ومثل (واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه أو قائما فما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنـــا الى ضرمسه) . ومثل (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وكقوله (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) وبعد فثم نماذج خاصة للانسان الشرير وآخر للانسان العام .

التربية الرياضية والقوة

أمام التعادلية الأخلاقية في القرآن بينما القوة في حرب الأعداء نجد القرآن يدعو الى الرحمة في التعامل مع بني الانسان .

وفي التربة الرياضية :

نجد في القرآن مايدعو الى تربية الجسم تربية رياضية وصحيحة ، فالوضوء والغسل والبعد عن الزنا . والأكل والشرب بالاسراف ، وتحريم مآكل ومشارب معينة .

ثم الاشارة الى ما أنعم الله على بعض الأنبياء من القوة مثل موسى ، وتعليم داود صنعة الدروع ، وقسم الله سبحانه بالخيل .

وقول الرسول : (ان لبدنك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولربك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه) · وقوله (علموا أولادكم الكتابة والرماية والسباحة) ، وما روى من مصارعة الرسول لرجل يسمى (سكانه) ·

ان الاسلام يرى فى الافراط بقوة البدن مثل الافراط فى قوة الروح · كلاهما خروج عن طبيعة الاعتدال ·

قوة الذاكرة عند العرب وحفظهم للقرآن

يقول سبحانه : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولو تقصينا الجو الاجتماعى لمن نزلت فيهم آيات الله لوجدناهم أقوى الناس حافظة ، وأرواهم لما يسمعون وأذكاهم خاطرا كان العرب يجتمعون فى أسواق عكاظ وذى المجاز وغيرها فينشدون الأشعار وان احداها ليتجاوز المائة بيت فلا يفوتهم بيت منها لا تعيه حافظتهم اللاقطة الحادة وكانت كل علومهم وعاؤها حافظتهم من علم بالانساب والفلك والمثل والشعر ·· الخ · ومثل هذه الحافظة القوية لم ينخرم منها آية واحدة من آيات الله الى جانب ما تكفل به الله من حفظ القرآن وتيسير ذكره وكتابة كتاب الوحى لما ينزل من الآى أولا بأول ، وكان لابد أن يجتمع مع حدة السمع حدة الذاكرة والفطنة والذكاء الى جانب صفات جسمية أخرى منها حدة البصر وقوة الاجسام ، وطول القامة ، ومتانة البناء ، وشدة الاحتمال لقسوة الصحراء ، ولهذا كله مردوده العقلى ·

آباء وأبناء

يعرض فيه لآدم وأبنيه قابيل وهابيل ، ابراهيم وأبيه ، ابراهيم واسماعيل ، نوح وابنه ، أم موسى وولدها ، شعيب وابنتيه ، أم مريم وبنتها ، مريم وعيسى ، زكريا وابنه يحيى ، يعقوب وأبنائه وبالأخص يوسف ، لقمان وابنه ، سليمان وداود وأبيه ، لوط وبناته ·

وأبناء بالتبنى ، فرعون وموسى ، يوسف وامرأة العزيز ، الرسول وزيد بن حارثة ·

الشباب فى القرآن

نجد مظاهره مبثوثة فى القرآن منها وصية لقمان لابنه ومنها أصحاب الكهف منهم فقيه ،ومنهم يوسف وصموده أمام اغراء زوجة العزيز ثم دعوته

للتوحيد ، وقصة ابراهيم فى شبابه مع أبيه ودعوته للتوحيد ، ثم قصة شباب اسماعيل ومعانى الفداء فى سيرته ، وقصة مريم التى وهبت شبابها للعبادة ٠ على أن هناك نماذج أخرى لشباب عاق مثل ابن نوح ٠٠

ولقد بنى الاسلام للشباب حياة سعيدة بالزواج الصالح دون اعتبار الفقر أو المظهر الخارجى فها هو شعيب خياره لاحدى ابنتيه القوى الأمين ويستأجره ٠ وعمر يزوج ابنه لبنت بائعة اللبن التى لم تطاوع أمها فى الغش الى شواهد دالة فى القرآن وفى سيرة على بن أبى طالب الذى نام فى فراش الرسول ليلة الهجرة وفى قيادة أسامة لجيش المسلمين وهو شاب ، ولسيرة عبدالله بن عباس جد المسلمين ٠٠٠الخ ٠٠

أزواج وزوجات

آدم وحواء ٠ ابناء آدم ونزاعهما حول أختيهما ، نوح وزوجه ، لوط وزوجه ، فرعون وزوجه ، العزيز وامرأته ، داود والقصة الرمزية (هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ٠٠) سليمان وبلقيس ، موسى وابنة شعيب ، الرسول وزوجاته ، زينب بنت جحش وزوجها حب الرسول ، زوج ابراهيم وكانت عقيما ، زوج زكريا وكانت عقيما ٠

العذراء

شخصية نسائية متفردة فى الانسانية هى مريم ٠

التغيير

جرت سنة الله فى الكون أن يعقب الليل النهار والنهار الليل ، ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ،وينزل من السماء ماء يحيى به الأرض فالرجولة فالكهولة وشاءت ارادة الله أن لا يجعل من متناقضات الكون ثوابت بعد موتها ٠٠ ويجعل الانسان يمر فى مراحل من الطفولة الى المراهقةفالشباب وذلك لكى لا يغتر الانسان بمرحلة هو فيها من قوة أو غنى أو سلطان فيظلم ويبغى ويفسد ٠

والتغيير آية على رحمة الله لعباده ٠ فالعاصى أن غير مسلكه وتاب دخل فى رحمة الله وعفا عنه ٠ والتغيير آية على كمال الله ونقص البشر (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ٠

مفهـــوم الأمـانة

يتسع مفهوم الأمانة فى القرآن ليشمل تحمل كل مسئولية نظراوتطبيقا ٠٠ وتحت هذا المفهوم نجد قوله تعالى : (انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ٠٠ الخ) وحديثه صلى الله عليه وسلم (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ٠٠) ومن هنا كل أمر دنيوى أو أخروى هو أمانة تحقيقها نظرا أو عملا هو أداء لحق الأمانة ، كمعرفة الوضوء علما وأداؤه عملا حق لأداء هذه أمانة والصلاة والزكاة والحج والصوم ٠٠ الخ ٠

الأمومة

سلك القرآن مسلكا عاطفيا فى تصوير لوحة نفسية للأمومة وللبنوة البارة ، فالمؤمن دوما مرتبط بعبادة الله يرتبط بالاحسان لأبويه (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) ٠٠ أما الأم فكم شقيت فى تربية الابن (حملته أمه وهنا وعلى وهن وحملهوفصاله ثلاثون شهرا) ٠٠ ولتراجعمواقف مريم وأم موسى وابراهيم ونوح ٠٠ الخ مما عرضنا له فى موطن آخر ٠ وبازاء عاطفة الأمومة يطلب منا الله حيث تكبر السن ، وينحنى الظهر ، ولا يعلم الأبوان من بعد علم شيئا (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهمها) ٠

صورة المجتمعات فى القرآن

بحث الدكتور اللبان رائد فى هذا الموضوع وهو بعنوان (تجديد القرآن للمجتمع) ٠ فى القرآن نجد صور مجتمع الكافرين يغلب أولا عليه الغفلة ثم يسود فيه التقليد للأباء والكبراء هذا الى تفصيلات أخرى فى صورة المجتمع الكافر ٠

أما المجتمع المؤمن فتسوده روح أخرى أساسها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومع هذا تفصيلات أخرى فى صورة المجتمع المؤمن ٠

مواقف نفسية مؤثرة فى القرآن

١ ـ ابراهيم الخليل يقول لابنه (يابنى أنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ٠ قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان اشاء الله مـــن الصابرين ٠ فلما أسلما وتله للجبين ٠٠) ٠

٢ ـ نوح وهو موزع القلب بين ابنه والطوفان ورجاء ربه ثم رؤية ابنه مع الغارقين ٠

٣ ـ أمر الله لأم موسى أن تضع موسى فى التابوت لتلقيه فى اليم ٠

٤ ـ مريم وهى عذراء ترزق بعيسى ثم تحمله الى قومها٠ حوارا لموقف كله مؤثر ٠

والقرآن يفيض بمثل تلك المواقف ٠

الاسلام والعزة

العبودية فى الاسلام لله وحده وكل الكلمات للوالدين للزوج ـ للحاكم ـ لأولى الأمر ٠٠ ينبغى أن تكون أولا طاعة لله ٠

فى الاسلام الجهاد لعزة الدين والمسلمين :

الدين عند المسلمين فوق كل شىء ـ المال ـ الأهل ـ الولد ٠٠٠ الخ ٠

وفى الاسلام لعزة المسلمين حمى الله الفقراء من ذل الدين بالصدقة والزكاة وتحريم الربا ٠ فهى حماية مزدوجة من الفقر والدين ٠

وجعل الاسلام كفارة الذنوب تحرير الرقاب ٠

مظهر من مظاهر عزة الاسلام أن يعز المسلم بدينه الى حيث يعد العدة ماديا ومعنويا لتقوية المسلمين وحمايتهم من عدوهم ٠

وفى بداية الاسلام نهى الله عن السماع لما يطعن به الأعداء فى الدين حتى يظل الدين عزيزا معتبرا ٠

ومن مظاهر عزة الاسلام ثبات المؤمن بالقول الثابت لا يتغير ولا يتلون نفاقا لذى مال أو قوة أو جاه أو منصب ٠

ومن مظاهر عزة الاسلام أنهم كانوا حماة الفريقين لأن المسلمين أهل القوة الروحية والمادية ٠

المساواة بين الرجل والمرأة

حين يثار هذا الموضوع يقول فريق من العلماء ان من دلائل تفضيل الله للرجال على النساء أن جعل منهم الرسل والأنبياء وليس كذلك النساء فيرد فريق آخر بأن ثمة عبارات وأحوال في القرآن تشير الى أن من النساء نبيات مثل : حواء وهاجر وأم موسى ، وآسية زوجة فرعون ، ومريم ابنة عمران ٠

حقوق المرأة وواجباتها فى القرآن

كلفت المرأة في الدنيا بما كلف به الرجل فتحدث القرآن عن اثابة الله خيرا من يعمل صالحا من ذكر أو أنثى ٠ وذكرت آية قرآنية أخرى عشر أصناف رجالا ونساء يثابون على خير الأفعال خير الجزاء (ان المسلمين والمسلمات ٠٠ الخ٠٠) ٠

وبعدئذ اذا دخلت اجرأة بيت الزوجية تبدأ الاختصاصات والمسئوليات توزع بين الرجل والمرأة وفقا لخبرة الخالق بمخلوقية نساء ورجالا ٠

ان الاسلام قد كرم المرأة حين ساوى فى الحقوق والواجبات الدينية بين الرجل والمرأة ثم نوع وعدد المسئوليات طبقا لامكانيات واختصاصات كل نوع ٠ وتكفى الاشارة الى الآية الجامعة (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) ٠

الترف

ان الاسلام يلبى حاجات الجسد والروح معا فى توازن (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) ٠

وأحاديث الرسول كثيرة جدا فى هذا المضمار ، ولكن الترف مرض اجتماعي يصيب الحضارات وفتنها ٠ كما أشار الى ذلك ابن خلدون فيالمقدمة وكما سبقه القرآن فى عديد من المواضع (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدمير) ٠

الظلـم

يحدد المفهوم لغويا فقرآنيا ،ولا ينطلق مفهوم الظلم من القوى الى الضعيف فحسب فان هذا هو المعنى الأشيع ولكن قد يظلم الانسان نفسه ويظلم غيره ويفرط فى حق الله فيتبع نواهيه ويخالف أوامره وبهذا يكون ظالما لنفسه وللناس وفى حق الله ٠ (ان الانسان لظلوم كفار) ٠

التشـاؤم

وهى ظاهرة مرضية صاحبت الانسانية فى تاريخها الطويل حين الخواء الروحى والجهل العقلى) ٠ والانقياد للشيطان ٠ فالجاهليون يتطيرون بالحيوان وبالأيام والشهور وبأمراض الانسان ٠٠ الخ ٠

وفى القرآن مواضع للطيرة عند قوم فرعون ، وقوم صالح ، وعنـــد الأنبياء الثلاثة المذكورين فى سورة يس ٠

واختتمت المواضع الثلاث بعبارات يشتم منها أسباب التشاؤم حـين وصف القرآن أولئك المتشائمين بأنهم قوم يفتنون ، وبأنهم مسرفون ، وبأنهم لا يعلمون ٠

وخطر هذه الظاهرة انها تضعف الايمان وتجعل للمخلوقات التصرف فى ارادات بنى الانسان ٠ وفى هذا الغاء لمشيئة الله ، وتعطيل لارادة الانسان ونشاطه فى الحياة ، وتمكين الخرافة والجهل من التسلط على العقول ٠

المنهج النفسى والتربوى الاسلامى

تقسم نظريات علم الانسان الى الأنا العليا والأنا السفلى ، فالأولى مصدر للسمو والتفكير والثانية مصدر الشهوة والغرائز الدنيا والشرور ٠ ويعكس علماء التربية والفلاسفة هذا التقسيم على خارج النفس ، فالحكام والقادة والسادة هم الطبقة اللعيا والعامة من جنود وعمال وخدم هم الطبقة الدنيا ٠ وذهب التربويون مذهبين متطرفين ، فمن أمثال المذهب الأول جان جاك روسو الذى بالغ فى العناية بالفرد بينما ذهب النازى فى عهد هتلر ، والشيوعيون الى العناية بالمجتمع على حساب الفرد ٠ والاسلام سبق هؤلاء ، فقسم النفس الانسانية قسمين : العليا وهى النفس المطمئنة وعنها يصدر كل خير ، والنفس الأمارة بالسوء ٠

ثم ذهب الاسلام مذهبا وسطا فى التربية فعنى بالفرد كعضو وظيفى فى المجتمع ، وعنى بالمجتمع الذى يرعى مصالح الفرد - وان كل ما فىالاسلام من فرائض التوحيد والصوم والصلاة والزكاة والحج ٠ والمعاملات اليومية والخلقية ترعى علاقة الفرد بربه وبمجتمعه ٠

والنموذج الحى لهذا المنهج سيرة الرسول وصحابته وهم تلاميذه الذين تربوا على المنهج الاسلامى ٠

وعلى هذا فمصدر المنهج الاسلامى هو الكتاب والسنة والسيرة العملية للرسول والصحابة ٠

التكافل الاجتماعى

فى كل العبادات والسلوك الاسلامى تعميق لروح الاخوة الاسلامية واذكاء لروح التكافل الاجتماعى ٠

ففى الصلوات الخمس ويوم الجمعة والعيدين التقاء المسلمين متساويين موحدين متجهين الى قبلة واحدة ومتفقدين من غاب منهم ٠

الصوم للاحساس بجوع المحتاجين ٠

الحج وحده ومساواة وتجمع للمسلمين للتشاور فيما يهمهم ٠

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لصالح الجماعة ٠

الاعجاز التشريعى

سمعت الى آيات من سورة النساء عمن حرم الله من النساء على الرجل : أمه ، وأخته ، وابنته ، وابنة أخيه وزوجة أبيه وأم زوجاته ، وربائبة من بنات النساء اللاتى تزوجهن ٠٠ الخ ٠ ثم من أحل لهم الزواج بهن ، ثم النفقةالمالية من حيث الصداق ، وانتفاع من الزوجين بمال الآخر ، ثم قضايا الخلاف ٠٠ الخ٠

سمعت الى هذا وغيره فوجدت احكاما فى القضاء التشريعى للاسرةبداية من اختيار العناصر المشاركة وتأسيس قواعد المعاملة والسلوك بينالمتشاركين، مع مايسرى فى هذا التشريع من خبرة الخالق سبحانه بالنفس الانسانية وما يجرى فى داخلها من أهواء ونوازع ٠

أحكـام السفر

للسفر فى القرآن أحكام من حيث العبادات جميعها ، ولكن نشير هنا الى جانبى الطهارة والصلاة ليعلم أن الدين يسر وهو صالح لكل زمان ومكان ومكان موائم للظروف ٠ فأولا من حيث الطهارة ان انعدم الماء يتيمم المسافر من حـدث أصغر أو جنابة ، وان دخل وقت آخر للصـلاة يصح التيمم الأول مالم ينتقض بحدث أصغر أو جنابة ، فان وجد الماء رفع طهارة الحدث الأصغر أو الأكبر ووجب الوضوء أو الغسل ٠ أما الصلاة فتقصر الرباعية منها لتصبح ثنائية ، ويصلى فى السفر النفل كالوتر وصلاة الضحى ٠٠٠ الخ ٠ ويجمع بين صلاتى العصر والظهر ، والمغرب والعشاء كما فعل الرسول فى غزوة تبوك ٠

ان الصلة بين الله وعباده لا تنقطع فى سفر أو حضر فى سلم أو حرب ٠ ومن أروع صور العبادة الصلاة وقت الحرب حيث توضع الأسلحة ويصلى صف صف خلف الرسول ٠

من أسرار الحج

كان للوثنيين رسوم ومعان فى حجهم منها تعظيم المواد والكائنات والمكاء والتصدية والعرى ٠ أما الاسلام فجعل من الحجر الاسود ومن زمزم ومن مقام ابراهيم ومن الطواف حول الكعبة ومن السعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات والنفره الى المزدلفة وجمع الحصى والصلاة هنا بالمشعر الحرام ثم رمى الجمار فى ثلاثة مواضع ــ كل هذه اشارات ورموز تشير الى الموت والبعث والحساب وقتل روح الشر فى الانسان ٠ انها رحلة للآخرة يتجدد بها الايمان، ومن هنا قوله سبحانه : (الحج أشهر معلومات ٠٠ وتزودوا فان خير الزاد التقوى) ٠

القتـــل

قال تعالى : (ولقد كرمنا بنى آدم) ومن هذا التكريم غلظ سبحانه فى عقوبة قاتل الانسان (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها)ويقول فى صفة المؤمنين (ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) وجعل القصاص عقوبة القاتل فى الدنيا (ولكم فى القصاص حياة) ٠ أما الحرابة

فغلظ فى عقوبتها فهى قطع الأيدى والأرجل من خلاف أو الصلب أو القتل أو النفى من الأرض ٠

أما القتل الخطأ أو شبه الخطأ ففى أبواب الفقه تفصيل له وكفارتـــه بين الدية وتحرير الرقبة أو صوم شهرين متتابعين هذا لمن ثبت عليه تهمة القتل الخطأ أو شبهته ، وأما ان وجد فى أحد أحياء البلدة ولم يستدل على القاتل فيشارك أهل الحى فى دفع الدية وهى ما يسمى بالقسامة فى الفقه ، وان لم يستدل على القاتل وجد القتيل فى خلاء غير معمور فبيت مال المسلمين يدفع الدية لأهل القتيل ٠ وفى هذا كله اكرام وحماية للنفس الانسانية من اعتداء المعتدين (ان الله لا يحب المعتدين) ٠

الشـــورى

يقول سبحانه لرسوله (٠٠ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمـر ٠

واذا كان العالم اليوم تسوده جوانب منها السيطرة والتحكم فان الاسلام يرفض ذلك : فيقول سبحانه : (وأمرهم شورى بينهم) ويقول لرسوله : (وشاورهم فى الأمر) ٠ ويشير الرسول فى الحديث الى أن خلق المستشار الأمانة (المستشار مؤتمن) ٠ وفى سيرة الرسول وصحابته أمثلة رائعة عن الشورى ٠ مثلا فى موقعة بدر استشار الرسول المهاجرين والأنصار ، وأشار على الرسول الحباب بن المنذر بتغيير مكان الموقعة ان لم يكن تحديد المكان بأمر من الله ٠ وحين كثر أسرى بدر تشاور الرسول بشأنهم فيما ذكرته سورة الأنفال وهكذا كانت موقعة بدر بدايتها ونهايتها الشورى ٠

تجربة الصوم

هى حلقة من حلقات الصراع بين الانسان وملكاته ، ولكنها فى الصوم صراع بين العقل والغرائز الفطرية الشهوانية بحيث يقمع العقل بتلك الغرائز وتكون له السيادة عليها وتتحرر الروح من مطالب الجسد الحيوانية وينتهى الصوم بتجرد الانسان بارادته من شهوات نفسه ويعود الصراع بعدئذ ، وقد تسود احدى القوتين حينما قوة العقل وقوة الشهوة ولكن تجربة الصوم أفاد منها الانسان سيادة سلاح الارادة العاقلة ٠ ومن هنا بتكرار التجربة صوما بعد صوم ٠ يسمو الانسان بعقله على غرائزه الفطرية وهذا جانب من جوانب

حكمة الصوم فى الاسلام سيادة العقل على الشهوة ، سيـــادة الروح على الجسد ٠

الصـــوم والقمـر

ارتبط شهر الصوم بالقمر وذلك ليدور الصوم مع فصول السنة كلها ، فيكون فى خريف كما يكون فى ربيع ويكون فى صيف كما يكون فى شتاء لتتمرس النفس الانسانية على مواجهة الصعاب فى كل زمان ٠

الصـــوم

فرض الصوم فى السنة الثانية من الهجرة أى بعد نحو خمس عشرة سنة من بعثة الرسول وكان المسلمون قبل فريضة الصوم يصومون يومين أو ثلاث فى الشهر ، وفى مناسبات كعاشوراء ٠ ولقد فرض الصوم على المسلمين كما فرض على الأمم قبلنا ، ولكن كيف كان هذا الصوم عند هذه الأمم ومامدته وما شرائطه وما مبطلاته ٠٠ الخ ، فهذا ما لم يصلنا خبره ٠

الصـــوم منذ آدم

يقول سبحانه (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلك تتقون) ٠ فالصوم مفروض علينا كما فرض على الأمم السالفة ، ومنذ آدم نجده فى قوله سبحانه (فكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) فالنهى عن الأكل هو تدريب على الحرمان الارادى ليقمع الانسان شهوة بطنه وفرجه ترقيا فى التهذيب الخلقى والسمو الروحى وهو معـنى التقوى ٠

وهدف التقوى هذا لا يتغير فى كل أمة سبقت وان تغيرت مدة الصوم وكيفيته ، أما فى الاسلام فالصوم تحدده الآية (فمن شهد منكم الشـــهر فليصمه) والآية (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل) ٠

المال فى الاسلام

ان النظم الاقتصادية المعاصرة تسخر المال اما للفرد فى النظام الرأسمالى أو للدولة دون الفرد فى النظام الشيوعى ٠ أما الاسلام فيحترم ملكية الفرد

كما يكفل حقوق الجماعة ويجرى ذلك كه فى جو من الحرية وانتظام . فهو يفتت المال بالارث والزكاة كى لا يكون دولة بين الأغنياء ومن لا يرث فله الهبة أو الوصية وكفارات بعض الذنوب المال ، والديات لأصحاب المقتولين . أموال . وللمسلم على أقاربه نفقة المال ، وبيت المال يهب المسلمين وغير المسلمين المال مراعيا من له أهل ومن لا أهل له .

وهكذا نجد أن المال فى الاسلام يتحرك بين الفرد والجماعة حركة حرة ولكنها منظمة بنظام الهى يزيل الأحقاد ويوجد التراحم ويشجع على العمل ، ويطهر النفوس من الشح وحب المادة . الموضوع شائق وله نفس طويل .

سياسة المال

يحكى التاريخ أن أسباب انهيار الحضارات والأمن هو انغماس الناس فى الترف والتهائهم بالحياة الدنديا وزخرفها حدث ذلك فى الحضارات اليونانية والرومانية والعربيةوفى فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى وفى أوروبا حاليا . ولهذا يقول سبحانه : (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ...) .

وحذر الاسلام من أن يكون المال حكرا للأغنياء حتى لا يكون دولة بينهم .

وللموضوع ابعاد أخرى .

فلسفة كنز الذهب والفضة

تستدعى الآية (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ..) وقفات تأملية فى أولئك الذين يبيعون خامات بلدهم وثرواته المعدنية ويحولون عائدها الى المصارف الأجنبية يكنزونها ، هنالك ، أو يشترون بها ذهبا وفضة والذهب والفضة فى حد ذاته معدن لا قيمة له . هم بهذا يعطلون الانتاج ويسيئون فهم وظيفة المال فى الاسلام الذى جعله الله دولة بين الناس كالدم يجرى فى شرايين الحياة الاقتصادية يزداد به الانتاج وينتقل من يد الى يد تنتفع به .

أما تخزين المال فى المصارف فهو يتعرض لهزات الهبوط فى العملات

الأجنبية فيتآكل بل ويعود بالخسارة على أصحابه حين تبيعه الدول الكبرى سلعا استهلاكية غالية الثمن تنزح بها من مدخراته لديها . وأكثر من هـذا فان الدول الكبرى تستنزف ثروات الدول المنتجة للخامات والثروات المعدنية حتى تاتى على كل مالديها فى عشرات السنين وتتركها فقيرة لا حول لها من صناعة ولا قوة من ثروات معدنية اذ جعلتها فحسب دولة منتجة للثـروة الاسنهلاكية .

الاستقامـة

يلفت فى القرآن تعبيره عن الايمان والهدى والثبات على العقيدة ووضوح الهدف المقصود وقرب الوصول الى رضا الله وحبه .. عن هذه المعـانى وغيرها .

توحى كثير من الآيات .. بتلك المعانى (واستقم كما أمرت) ، (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه) ، (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم) .

تسخير المادة والكون والحواس للانسان

سخر الله الكون ومافيه من مادة وحيوان ونبات وهيأ الانسان بالحواس ليستمتع بهذا كله ولكن الانسان انحرف بنعم الله فجعلها نقمة ، فالنار ، يحارب بها أخاه ، والحواس يرتكب بها المعاصى ويؤذى الناس ، وسمم المياه والنبات أو حرم أخاه الانسان منهما ، والمال سخره الله لنفع الناس فحبسوه عن المنفعة العامة والليل سخره الله للراحة فجعله الانسان للزنا والخمر والجريمة .. الخ .

في المضمون القرآني العلمي



بسم الله الرحمن الرحيم

★ نماذج من الاعجاز العلمى للقرآن للدكتور أحمد عبد السلام الكردانى عن كتابات المرحوم دكتور أحمد الغمراوى عميد الصيدلة .

★ من أسرار القرآن للدكتور مصطفى محمود.

مراجع تربط بين الاسلام والعلم الحديث .

الطب والاسلام فى جزئين للدكتور سليمان عزمى

★ دكتور عبد الله العربى وبحوثه فى الاقتصاد .

★ بحوث الدكتور عيسى عبده فى الاقتصاد والاسلام .

★ بحوث دكتور جمال الفندى عن الفضاء والاسلام .
وغير ذلك ..

الاعجاز والعلم

من مصادره : (الفلسفة القرآنية) للعقاد وكتاب لفريد وجدى . أما السيوطى فى الاتقان فقد خصص فصلا عن العلوم المستنبطة من القرآن يعنى ما اجتهد به فوجد اشارات اليه فى القرآن حتى عصره القرن العاشر الهجرى من معارف انسانية . وطبيعى أن كتاب الله فيه مفتاح الأسرار المعرفية العلمية التى ستتكشف للانسان حتى نهاية الدنيا .

نماذج من الاعجاز العلمى للقرآن جمع مادتها الاستاذ أحمد عبد السلام الكردانى مما كتبه المرحوم دكتور محمد أحمد الغمراوى . ونجد من هذا الزادى كتاب الله والعـــالم للدكتور عبد الرزاق نوفل وله كتب أخرى تشترك فى العرض للاعجاز العلمى كالاعجاز العددى مثلا .

الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم : للطبيب د. السيد الجميلى . والكتاب يبدأ بمقدمة للشيخ متولى الشعراوى ثم قصيدة للمؤلف بعنوان (رأيت الله) رآه سبحانه فى النملة والعصفور وفى كل مظهر جميل من مظاهر الكون. والكتاب ثمانية فصول بدأها بالخلق . ثم ان للانسان اسرارا ثم مدخل اسلامى

الى الطب فى الاسلام عن العلاقة بين المريض ومن يطببه ، ومثال علاقة أيوب بربه • ثم حكمة التحريم مثل تحريم الخمر والخنزير وما اكتشفه الطب حديثا من أخطاء فيهما ثم الغذاء فى القرآن مثل المن والسلوى والعسل والرطب •• الخ • وفصل عن علم النفس القرآنى أو العلاج القرآنى للنفس • وفصل عن الطب فى الحديث النبوى الشريف •

معجزة القرآن فى وصف الكائنات • تأليف حنفى أحمد • الجزء الأول عن الخلق العام للسموات والأرضين وخلق الأرض واعدادها للحياة مع مقدمة هامة فى فصلين • الطبعة الاولى ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م مطبعة لجنة البيان العربى • مصر •

ص •• ولابد من الاعتراف بالجهود الطيبة التى بذلها بعض أفاضل علمائنا المعاصرين فى كشف مكنون معانى الآيات الكونية أمثال زميلنا الفاضل محمد أحمد الغمراوى استاذ الكيمياء بكلية الصيدلة والمرحوم الدكتور عبد العزيز باشا اسماعيل ، اذ بحث الأول فى كتابه فى (سنن الله الكونية) كثيرا من الآيات التى تشير الى الظواهر الجوية بحثا مستفيضا وشائقا • كما فسر الثانى فى كتابه (الاسلام والطب الحديث) بعض الآيات الكونية تفسيرا علميا أظهر وجه الاعجاز فيها • واستاذنا المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره الواسع للقرآن الذى أفاض وأسهب فيه وبين كثيرا من العلوم المختلفة التى تشير اليها الآيات الكونية لولا أنه رحمه الله قد زاد فى هذا البيان حتى جاوز حدود معانى الآيات الكونية ولم يحاول الجمع بينهما فخفى بذلك كثير من حقيقته ومقدار العلم المنزل فيها • وعلى كل حال فقد كان رحمه الله من المجتهدين والله لا يضيع أجر المحسنين •

ولست أنسى ذلك العالم الرياضى العظيم الذى كان صدرا أعظم من صدور الدولة العثمانية ، وهو المرحوم أحمد مختار باشا الغازى ، فقد ألف كتابا اسماه (رياض المختار) تناول فيه موضوع بحث الآيات الكونية فى القرآن ، وبحثه على جلال قدره كان محدودا قاصرا على ناحية من نواحى العلم الحديث •

معجزة القرآن فى وصف الكائنات • تاليف حنفى أحمد ج١

ص ٥ •• وتقوم طريقة البحث فى هذا الكتاب على الطريقة المتبعة فى

البحوث العلمية : فقد بدأت أولا بحصر وجمع الآيات المختلفة عن الكائنات المنبثة فى السور المختلفة من الكتاب العزيز • ثم رتبتها وخصصتها على حسب موضوعاتها واقتبست منها ما يتطلبه البحث فوقعت بذلك فى خمسة أبواب أو موضوعات أصلية وهى : الخلق العام للسموات والأرض وتدبير الأمر فيهما — والخلق الخاص بالأرض التى يسكنها الناس واعدادها للحياة — وخلق النبات والحيوان — وخلق الانسان — وسنة الله تعالى فى ايجاد الخلق وحوادث فناء العالم بقيام الساعة • وقد صدرت هذه الأبواب بمقدمة هامة موجزة يحتاج اليها كثير من القراء وجعلتها فى فصلين أولهما عن رسالة القرآن والآيات الكونية والثانى عن وسائل البحوث الفلكية وبعض نتائجها الهامة وجعلت كل باب فى فصول متعددة وبعض الفصول فى مباحث وذلك تيسيرا للبحث •

وقد استعنت فى هذه المرحلة « بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » الذى وضعه الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى وهو سفر هام لا يستغنى عنه باحث فى مثل هذا الموضوع •

ثم انتقلت بعد هذه المرحلة الى اثبات معانى الآيات المقتبسة بعد ترتيبها فى كل موضوع على حسب ايضاح المفسرين مع النقل الحرفى فى بعض الأحيان من مشهور التفاسير المتداولة كتفسير « الجلالين » و «ابى السعود» و «الفخر الرازى » وغيرها • واستعنت عند الحاجة فى تحقيق معانى الألفاظ بمعجمات اللغة كأساس البلاغة للزمخشرى وغيره وبكتاب « المفردات فى غريب القرآن » للامام الراغب الاصفهانى وهو معجم نفيس فى استجلاء معانى الفاظ الكتاب العزيز •

فتم بذلك اثبات معانى الآيات وفق مقتضيات اللغة ومتواتر المنقول عن غرائبها وهو الشرط الأول الذى يجب أن يستوفيه كل من يتصدى للنظر والبحث فى كلام الله •• ثم عقبت بعد ذلك على ايضاح المفسرين فى كل موضوع بتعليق يتم نواحى البحث ويوضحها ويلقى ضوءا ساطعا على المقاصد والغايات وحين الخلاف فى الرأى رجعت الى العقل ودعمت الرأى بالدليل فى نطاق القاعدة الأساسية للتفسير وهى الأخذ بظاهر المعنى مالم يمنع منه مانع من العقل أو النقل وفى حدود المعانى المحتملة للالفاظ والآيات دون نقص أو زيادة • وبعد أن اتممت بالتعليق استجلاء معانى الآيات فى حدود معانى ألفاظها وعلى ضوء العلم وضعت هذه المعانى على هيئة قضايا — مقررة أو ظنية — مستنبطة من نصوص الآيات أو من ربط بعضها ببعض

أو بعبارة أخرى وضعتها فى صورة موجزة محدودة تبين ما تحتويه الآيات من علم جزئى أو كلى عن الكائنات لكى يسهل مقابلتها بنظائرها من قضـــايا العلم ٠

وأخيرا عقدت فى آخر كل فصل أو باب مقابلة بين القضايا القرآنيـــة والقضايا المناظرة لها مما أثبتته أحدث البحوث العلمية من حقائق ونظريات علمية ٠ ثم بينت ما بين هذه وتلك من الاتفاق أو التعارض ان وجد ـ ثم ماتدل عليه هذه المقابلة من وجوه الاعجاز فى الآيات الكونية ٠

ونظرا الى كثرة صحائف الكتاب ولتيسير الاطلاع عليه جعلـــته فى جزئين : الأول منهما يشتمل المقدمة والبابين الاول والثانى ٠ والثانى منهما يشمل الأبواب الثلاثة الأخيرة منه ٠

مصادر فى الاعجاز العلمى

لو تلمسنا باحثى الاعجاز العلمى فى القرآن نجد من ذلك اشـــارات عند الشيخ طنطاوى جوهرى فى جواهر القرآن وعند الشيخ محمد عبده فى تفسيره الاجتماعى ومن بعده تلميذه الشيخ رشيد رضا ثم حاليا عندنا دكتور مصطفى محمود ودكتور محمد كامل حسين وجمال الدين الفندى وفريد وجدى ودكتور عبد العزيز اسماعيل ودكتور سليمان عزمى ودكتور عبد المحسن صالح ودكتور محمد أحمد الغمراوى وكثيرون ممن لهم تعرض للآى القرآنى من الزاوية العلمية ٠

بين الاعجاز العلمى والتفسير العلمى

نعتمد فى كثير من توقفنا أمام النص القرآنى على فهمه فى ضوء حقائق العلم الثابتة التى انتهى اليها الرأى ولم تعد محل التجريب والبحث ٠

اذن هذا الفهم العلمى بما يوقعنا عليه من حقائق علمية دليل الاعجاز العلمى للقرآن لقد نبأ القرآن به الناس منذ نحو مايزيد على ألف وأربعمائة عام ٠ وصاغه فى عبارات الهية دقيقة لا تخرج عن الضبط العلمى وفى الوقت نفسه هى باجمالها التعبيرى سهلة الفهم قريبة التناول فلدى من يتأملون بحواسهم البسيطة وهى أدوات المعرفة عند الانسان ـ ان يفهموا منها على قدر ما أتيح لهم ولعصرهم من معرفة ٠

الاعجاز العلمى فى هذه الحقيقة العلمية التى منذ البداية مع خطاب البسطاء الى الى نهاية الدنيا بعد أن يبلغ الانسان ذروة المعرفة ستظل تعطى وتعطى ولا يخرج أبدا تعبيرها ومضمونها عن الضبط العلمى بل وتبقى بعد ذلك حقائق تخفى على الناس (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) .

وهنا يحس الانسان بعجزه العلمى والعقلى أن يحيط بهذا الكون .

التفسير العلمى

جاءت الحقائق العلمية أو الكونية فى القرآن مجملة ، وليس التفسير العلمى لتلك الآيات يخضع للنظريات العلمية التى هى محل أخذ ورد وانما التفسير العلمى للقرآن يعنى بالحقائق العلمية وليس النظريات العلمية ، من مثل الحقائق العلمية التى استقرت على أن الشمس كرة ملتهبة ، وأن الأرض مستديرة ، وأن القمر جسم معتم ... الخ .

المنهج العلمى فى القرآن

ان هذا العصر الذى فتن بالعلم واستخداماته لم يلتفت الى المنهج العلمى فى القرآن فى رد العلم بكل شىء الى الله ، اذا كان علم الدنيا المادى يرتد الى العلماء استغفر الله بل بعض العلم بالمادة . وأنه لم يلفت فى القرآن ارتباط العرض القرآنى لحقائق الكون العلمية بأمور العقيدة والالهيات .

جانب آخر هو سوق الأدلة على الحقائق المعروضة . أمر ثالث هو عرض وجهات النظر المختلفة معارضة أو موافقة . جانب آخر هو المقابلة والموازنة بين سلوك الجمادات أو الكائنات الحية غير العاقلة وسلوك الانسان الذى ميزه الله بالعقل . الى أمور أخرى تستقصى .

وهذا المنهج يستخدم فى كثير من الأغراض التى سقناها آنفا . وهذا كله يوحى الينا ببحث عنوانه (الطرق والأساليب فى المنهج القرآنى) لعرض قضايا الدين والانسان من استخدام للتاريخ ، ولمشاهدات الحس وللحوار العقلى ، وبضرب المثل ... الخ .

الاحساس بالزمن فى القرآن مبحث طريف فان الاسلام ينظم آداء الفرائض بالزمن فالصلوات الخمس فى أوقات معلومة يسبقها اذان يعلن قدومها ولا يجوز تأخيرها الى ما بعد الصلاة التالية لها والا أثم المؤخر كما لا

يجوز تقديم الصلاة على الوقت المحدد لبدئها • يقول تعالى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) والحج أشهر معلومات وفيه ساعات تختصر الحج ففى الحديث (الحج عرفة) والصيام والامساك فيه عند ظهور لمعة الضــــوء من الفجر من خلال حلكة الليل والافطار حين يغيب ضوء النهار فى ظلمة الليل • والزكاة لها وقت محدود بعد الصيام وحياة الانسان كلها ينظمها الزمان •

المنهج

أشار الى منهج الاسلام فى الدعوة دكتور محمد حسين هيكل فى كتابه (حياة محمد) • وأن ما عرفته الانسانية من خطوات هذا المنهج يقوم على رفض كل المسلمات السابقة والنظر والمشاهدة والتجربة والتحليل والموازنة وفرض الفروض ثم الخلوص الى استباط حكم صحيح فى النهاية • ومنهج الرسول فى الدعوة الى الاسلام كان يقوم على نبذ كل ما سبق من اعتــــقاد بأصنام القبائل مجتمعة وصنم القبيلة منفردة أو الاعتقاد بالنجوم أو بالنار •• الخ • ودراسة ما انحرفت عنه ديانات سماوية بين الناس • (الله الذى رفع السماوات بغير عمد) (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا) • (يأأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له)(لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) •

علوم القرآن والعلم الحديث

فى المصطلح اعجاز علمى وموافقات القرآن • فى مجال الدرس الاسلامى شاع مصطلح علوم القرآن عند ابن الانبارى وابن الجوزى والزركشى صاحب البرهان والسيوطى صاحب الاتقان ولكن ظهر حاليا مصطلح جديد ولعله من أثر دراسات المستشرقين وهو(علم وصف القرآن) كمرادف لعلوم القرآن ومن مباحثه (موافقات القرآن) وتعنى أمرين أولهما موافقة القرآن لمنطوق الصحابة أو ما طاف بعقلهم من رأى أو خطر بوجدانهم من احساس وبخاصة عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة • والمعنى الثانى هو موافقة القرآن لمنجزات العلم الحديث ، وهو ما يشيع الآن التعبير عنه بالاعجاز العلمى للقرآن • وكان السيوطى يسميه (العلوم المستنبطة من القرآن) وعقد له فصلا فى كتابه الاتقــــان •

الخطة فى بحث الاعجاز العلمى

على مدى شهرين فى رمضان ١٤٠٠ هـ وعام ١٤٠١ هـ اذاع البرنامج

المصرى العام خلقات عن الاعجاز العلمى للقرآن وكان يتعرض بتفصيل يهم المتخصصين أكثر مما يهم المستمع ذا الثقافة العامة وفى اطار الخطة التى استحسنها وهى اجمال العرض العلمى سأتناول هنا بعض تلك الآيات : مثلا (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع) ان النبات المتجاور الذى على تربة واحدة ويسقى ماء واحد ويتغذى بكيمياء الأرض فى داخل معامل كيمياوية تشكل وتلون ثمار النبات فى مراحله المختلفة ٠٠ مما يعطى ذوقا أو رائحة أو شكلا أو لونا خاصا تختلف به الثمار والخضر بعضها عن بعض بل وتختلف فصيلة النوع الواحد عن الآخر ، فالبلح رطب وسمانى وتمر ومنه أصفر وأحمر وأسود وبنى ٠٠ الخ ٠

القرآن والعلم

فيم اختلافُ الفريقين حول المضمون العلمى للقرآن ؟ فريق منهم دكتورة بنت الشاطىء ودكتور زكى نجيب محمود يرون أن القرآن ليس كتاب تشريح ولا طب أو كيمياء وطبيعة ، وأنه نزل على العرب وليس لديهم من تلك العلوم ما يجيئنا به مفسرو اليوم العلميون ٠ والفريق الثانى يرى فى القرآن حقائق علمية توافق ما استقرت عليه نتائج البحوث العلمية ومن هؤلاء دكتور مصطفى محمود ، ودكتور عبد الرزاق نوفل وآخرون سبقوا أو معاصرون لهم ٠ والحق ان الفريقين يختلفان فيما لاخلاف فيه ٠ حقا ان القرآن ليس كتاب طبيعة أو كيمياء أو زراعة أو اقتصاد وسياسة ٠٠٠ الخ بمعنى انه لا يحوى تفصيلات وجزئيات هذه العلوم ولكن القرآن مع ذلك فيه حقائق مما استقرت عليه نتائج العلوم وكشوفاتها فى الجيولوجيا أو الطب أو الفلك ٠٠٠ الخ ٠ وفى القرآن منهج علمى ، وروح علمية ، فما فى السماء من آيات كونية استخدمها الأنبياء جميعا فى تحريك عقول الناس وفطرتهم السليمة للايمان بالله ، وفى القرآن منهج علمى يقوم على الملاحظة والتجربة والاستنباط وهو دوما يتخذ من المرئى ، المشاهد الحاضر ، المعلوم ٠٠٠ يتخذ منه قياسا للتوصل الى المجهول ، المغيب ، الغائب ، غير المرئى ٠ وعلى هذا فمنهج القرآن هنا منهج علمى ، كلنا يتفق على هذا ، وفى القرآن حقائق من كل علم وفن ، لتحريك عقول الناس ووجداناتهم ٠ ومن هنا فالمضمون العلمى أداة للدعوة الى الله ٠

التفسير العلمى للقرآن

يقول العالم الفرنسى دكتور موريس بوكاى انه لما يروعه النص الذى نزل على محمد فى القرن السابع الميلادى حين لا تتناقض بل وكيف سبق

بها عصرنا الحاضر وتوفر له هذا كله مع التنوع والثراء فهو الى جانب أنه كتاب دين وعقيدة يعرض لقصة الخلق وعالم الحيوان والنبات والفضاء والجيولوجيا وعلم التناسل ·

حقا ان النص القرآني ليس يقرر القواعد العلمية بل هو سينبه اليها للدلالة على الخالق وهو الله سبحانه وتعالى وأن بعض هذه التنبهات يمكن فهمها ببساطة بمجرد الحس الظاهر والبعض الآخر من النصوص القرآنية لا يمكن تعمق الفهم لمعناه الا بعد أن توصلت علوم العصر والحديث الى مكتشفات العلم ومنجزاتها ولهذا تخبط المفسرون فى فهم تلك الآيات فى الماضى ·

المعرفة

الى جانب ارتباط الحواس فى القرآن بالشعور أو بالجانب النفسى فان ارتباطه بالجانب العقلى ضخم فسيح · فتكثر عبارات أو لم ير ·· أفلا ينظرون ·· ياأولى الأبصار ·· يعقلون ·· يذكرون ·· يفقهون ·· ·· يقول سبحانه (قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير) ·· ويقول سبحانه (وتعيها أذن واعية) · ويقول سبحانه (ألم تر أن الله يعلم مافى السماوات وما فى الأرض مايكون من نجوى ··) ويقول سبحانه (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) · ويقول (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) ·

العلم

فى القرآن قرن لرسالة العلم بالجهاد وبيان أن قيمته تكمن فى أن يكون علما تطبيقيا(فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) · فالعلم جهاد وقيمته فى أن يكون تطبيقيا (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وكان الصحابة لا يتجاوزون قراءة العشر آيات حتى يتعلموا حلالها وحرامها ويعملوا بها · وقد نعى القرآن على بعض الأمم كبنى اسرائيل أنهم لا يعملون بما علموا ووصفهم بالحمير · ومن الطريف هنا أن نبين من خلال القرآن حال المجتمعات التى لم تعمل بما علمت · لقد ذكر القرآن وسائل المعرفة من سمع وبصر وفؤاد ، كما ذكر وسائل العلم من كتابة وورق ومداد وتسطير وكتب وسجل ·· كما عدد أنواعا من المعارف ، تاريخا ، وجغرافية ، وفلسفة ، وطبا ، وعلم نفس ، واجتماع ·· ، وشريعة ، واخلاق ··· الخ ·

ان العلم فى القرآن ليس للاحتكار وانما لنشره وهداية الناس به ، فكل العلوم دينية ودنيوية تنتهى فى النهاية الى وحدانية الله سبحانه وتعـــالى والايمان به ٠

قواعد البحث العلمى فى القرآن

بعض هذه الأفكار مشتقات من بحث للشيخ هلال على هلال عن قواعد البحث العلمى فى القرآن ٠ ان القرآن ينكر التشيع لاتباع ما سبق من آراء باطلة ، فالكفار يتبعون عبادة الأوثان صنيع آبائهم ٠ فيقول لهم القرآن (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) وان كان لباحث فكرة علمية تؤيدها تجربة عملية وان كان لصاحب رأى فكرة عقلية تأملية تأييدها بالبرهان ٠ يقول سبحانه (قل هاتوا برهانكم) (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) ٠

وفى المنطق مبدأ أن الحق لا ينافى حقا غيره يقول فى ذلك القرآن(ذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال) ٠ فالحق لا يبطل حقا ـ ولكنه ينافى الباطل ٠

القرآن والمنهج التاريخى

يستخدم القرآن المنهج التاريخى لاثبات قضايا : التوحيد ـ البعث ـ الثواب ـ والعقاب ـ ظواهر المرض الاجتماعى وعواقبه ـ شحن نفوس الأنبياء والمؤمنين بما يقوى روح الايمان ويذكى اتجاه الجهاد فى سبيل الله ٠

استخدام التاريخ

ان قصة البشرية جلاها القرآن على مداه كله منها قوله سبحانه (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض ٠٠) وفى الآية عنصران خطيران : أولهـــما أن الآثار هى الوثيقة المؤكدة فى التعرف على أحوال الأمم السالفة كما نادى بهذا علم التاريخ الحديث وبدايته تحديدا عام ١٧٨٠ حـين اكتشاف آثار طروادة ٠ والعنصر الثانى يقول به علماء الاجتماع وهو أن ظروف المجتمع الحاليـــة سبب أو نتيجة لما سبقها من أحوال ٠ فالحاضر حصيلة المــاضى والمستقبل حصيلة الحاضر ٠ والقرآن يشيردوما لهذين المبدأين فعن قوم فرعون

(كم تركوا من جنات وعيون ٠٠) (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) ٠

الهدف القرآني للعلم

فى القرآن نشاطات كلها موجهة لخدمة الهدف الدينى (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) ٠ ومن هنا انحرف الماديون برسالة العلم فجعلوها لتدمير الانسان ٠ هذا أولا ، وثانيا لفصلهم الدين عن العلم (والاسلام دين عقيدة وحياة ولظروف سيطرة الكنيسة على العلم فى أوروبا ٠ لذلك كان العلماء بمعزل عن جعل الدين دلالة على قدرة الخالق أو وحدانيته ٠

أما فى القرآن فالعلم دنيوى ودينى لخدمة الانسانية فى الدنيا وفى الآخرة ، وهو موجه لتوحيد الله ٠ وعلى هذا كان ينبغى أن للعلم الاسلامى دنيوى ودينى شخصيته المتميزة وليس ثمة ما يبرر أبدا الفصل بين علوم الحياة وعلوم الدين ٠

البصمات

(أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين) هذه الحقيقة نادى بها القرآن فى القرن السابع الميلادى ولم يكتشفها الطب الشرعى الا فى القرن التاسع عشر حيث أثبت أن لكل انسان بصمات وهى خطوط دقيقة منقوشة فى أطراف أصابعه لا يتشابه فيها اثنان ولا تتغير بالمرض أو بمراحل العمر وتستعين بها أجهزة الامن فى تعقب المجرمين والاستدلال على مرضى الأعصاب وفقد الذاكرة ٠ وهذا السر العجيب فى أطراف الاصابع تشير الآية الى أن الله يعيد تشكيل الاصابع يوم القيامة وينقش عليها تلك الخيوط الدقيقة التى كانت تميز شخصية صاحبها فى الدنيا أى أن اعادة الخلق تكون باعادة دقائق ماكان للانساو من سمات جسمه فى دنياه ٠

والبصمة أدق ما توصل اليه العلم الحديث هو أن بصمات الأشخاص وحدها هى الفارق الدقيق المميز بين انسان وآخر ويعمتد عليه (علم الجريمة) فى كشف الجرائم ومن هنا سر الاعجاز العلمى للآية (ايحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه) ٠

الـذرة

(٠٠ لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ، ولا أكبر

من ذلك ولا أصغر الا فى كتاب ٠٠٠) حتى منتصف القرن التاسع عشر كان السائد أن الذرة هى الجوهر الفرد أو الجزء الذى لا يتجزأ ٠ الى أن أدت الكشوف فى علم الطبيعة الى القول بامكان أن تنشطر الذرة ذاتيا أو بوسائل أخرى ٠ وسبق القرآن الى ذلك حين أشار باجمال الى أن الذرة منها ما هو أكبر وأصغر ٠٠ والذرة هى وحدة البناء فى كل الأكوان ٠ من انسان وحيوان وطير ونبات وجماد وشمس وقمر ونجوم ٠٠٠ الخ ٠ وتنشطر النواة فى الذرة فتفجر الذرة التالية لها وهكذا تتولد طاقة هائلة قد توجه للشر أو للخـــير ٠

السالب والموجب

حقيقة جوية لم تعرف الا فى عصرنا توضحها الآية (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) ٠ وهى أن الرياح ترفع الذرات المكثفة — من بخار الماء وذرات الغبار فى الجو الى مناطق أعلى باردة فتتجمع سحبا وهذا هو معنى الاثارة أى الظهور بكل سحاب ونسب الاثارة للريح لأن عملية حمل أو نقل البخار الى الطبقات العليا الباردة أما السوق الى الله لأن له قوانينه التى يعلمها الله وحده ولم يصل اليها علمنا ٠ والآية (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) ٠ توضيح الى أن (لواقح) معناه ليس كما فهم بعض العلماء حينا من أنها تلقيح الرياح للنبات لأن نص الآية لا يتحدث عن نبات وانما عن ماء ينزل من السماء ٠ فالمهم أن السحب حين تتجمع يتفرق السالب منها بعضه عن بعض وتقوم الريح بتزويج السحب السالبة للموجبة ، تقترب بعضها من بعض فتحتك فتتولد شرارة كهربائية هى البرق ٠ وفى دقة يقول سبحانه (ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما) نعم تأليف السالب مع الموجب ٠٠٠

فكرة التوازن البيئى

يقول سبحانه (الرحمن ٠ علم القرآن ٠ خلق الانسان ٠ علمه البيان ٠ الشمس والقمر بحسبان ٠ والنجم والشجر يسجدان ٠ والسماء رفعها ووضع الميزان ٠ ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ٠ والأرض وضعها للأنام ٠ فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ٠ والحب ذو العصف والريحان ٠ فبأى آلاء ربكما تكذبان ٠ خلق الانسان من صلصال كالفخار ٠ وخلق الجان من مارج من نار ٠ فبأى آلاء ربكما تكذبان ٠ رب المشرقين ورب

المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان . مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لا يبغيان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام . فبأى آلاء ربكما تكذبان) . هذه الآيات تشير الى ما توصل اليه علماء الأوليات من أن لكل بيئة نظامها التوازنى من نبات وانسان وحيوان وطير وماء وجبال ... الخ . ولعل المثل المصرى العامى (غاب القط العب يافار) يشير الى حادثة فى تاريخنا الفرعونى حين زاد عدد الفيرانفى سنة ما فالتهمت المحصول وكان من لطف الله أن سلط القطط على الفيران لابادتها أحداثا للتوازن بعد ما أحدثت الفئران هذا الخلل . ولهذا أله الفراعنة القطة ..

النسبية

يشير قوله سبحانه (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) الى نظرية النسبية التى كشفها العالم الالمانى أينشتين والتى غيرت كثيرا من مفاهيم وآراء علمية وثبت بها أن لازمان مطلق ولا مكان مطلق بل هما نسبيان. فهى نظرية تقوم على الرياضيات المعقدة والمعادلات الصعبة . وترتكز نظرية النسبية أساسا على الحركة فكلما زادت الحركة أبطأ الزمان . ان الأرض تدور حول نفسها أمام الشمس فى ٢٤ ساعة مرة واحدة وحول الشمس مرة واحدة فى ٣٦٥ يوما بينما نصف دورة عطارد وهو أقرب الكواكب للشمس تساوى ٨٨ يوما ويدور حول الشمس مرة واحدة كل عامين . فسبحان من يتلاشى عنده الزمن ويتناهى . وعن يوم القيامة يقول سبحانه مؤكدا النسبية (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) ..

عن السنة الضوئية

سرعة النجم فى دورانه فى الفضاء ١٨٦٠٠ر ميل فى الثانية ويصلنا ضوء الشمس فى ٨ دقائق بينما ضوء القمر يصلنا فى ١/٤ ثانية .
مقدار السنة الضوئية هو حاصل ضرب : ١٨٦ × ٦٠ × ٦٠ × ٢٤ × ٣٦٥ .

• قانون التوازن

يقوم سبحانه (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ..) فالله هيأ السماء والأرض وجعلها بتدبيره الذى يربط بينهما مسخرين لخدمة الكائن الحى على سطح الارض . وذلك بدوران الأرض حول نفسها بنسبة معينة حول الشمس فلو زادت سرعة الدوران عما هى

لتناثرت الأرض وتطاير ما عليها من حيوان وانسان ونبات ولو أبطأت لهلكت الكائنات من الحرارة والبرودة . ولو كان الهواء المحيط بالأرض أعلى قليلا مما هو لأحرقت الشهب التى تحترق الآن فى الفضاء الخارجي ـ لأحرقت الأرض ومن عليها ولو هبط الهواء قريبا من الأرض لزاد الضغط على الأرض ولعجز الانسان والكائنات الحية . ويقول تعالى (وجعل لكل الأرض مهدا) فمعروف أن الأرض مرت بتطورات كثيرة من صخرية الى تربة صالحة للزراعة ذات قشرات بنسبة معينة السمك . ولولا موافقات هيأها الله لما صلحت الأرض للحياة منها وجود البحار والمحيطات تمتص التفاعلات الكيميائية .

قوانين التناسق

قوله سبحانه (انا كل شيء خلقناه بقدر) يشير الى آلاف ما نشهده من قوانين التناسق العلمى وما بين الكائنات من ضوابط النسبية فبحساب دقيق من الخالق حدد سبحانه الأبعاد بين الشمس والقمر والنجوم والأرض وجعل الأرض بيضاوية ولو كانت على غير هذا الشكل لكان فى حركتها ما يسبب الفياضانات وتهدم الجبال والمساكن والكائنات .. الخ . ولو كان طول الانسان مثلا ثلاثة أمتار لما خضع لقانون الجاذبية ولكان فى طوله اهلاكه . ولو أن مافى الجو من ثانى أكسيد الكربون لا يتغذى عليه النبات لاحترق الانسان أو اختنق ومعه الكائنات ولو .. ولو .. من عديد الحقائق المادية متمثلة فى الكون كله . ان الحدأة والغربان مثلا مقوسة المنقار لتنشب فى طعامها من الحيوانات واللحوم . بينما منقار الهدهد طويل لينبش به فى باطن الأرض عن الديدان . ونرى منقار البط والأوز مفلطح لتلتقط به الحب وفى أطرافه شرشرة لتأخذ به الحشائش من طعامها . وتوزيع الماء والجبال محسوب بتقدير العزيز العليم .

وهكذا فان الأمثلة تتراكم أمام الانسان حتى ليحصل تحت هذه الآية كل ما تكشف للعلم من حقائق فى علوم الفلك والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات والطب ... الخ .

وفى الانسان ذى الوزن المحدد نجد أن البنكرياس يفرز قدرا مناسبا لهذا الوزن من هرمون الكوليسترول فاذا زاد وزن الجسم زادت خلاياه وأصبح الكوليسترول أقل من حاجته . ومن هنا تكون الاصابة بمرض السكر .

قوله سبحانه (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وانا

على ذهابه لقادرون) فنزوله بقدر يعنى الكثرة تغرق الأرض والقلة تذهب بددا فى السماء • فشاءت الحكمة أن ينزل من الماء المقدور ما يظل على سطح الأرض وما يشاء الله له أن يتسرب من خلال شقوق القشرة وفى باطن التربة وتجاويف الصخور تخزنه • وفى هذا دليل على صلة مابين المياه الجوفية والمياه السطحية •

ميـاه السحب

راجع الآية (•• وأرسلنا الرياح لواقح •• فترى الودق يخرج من خلاله) فى الآية ما يشير الى ما يعرفه العلم من أن أنقى وأصفى المياه مياه الأمطار ، والريح هنا لواقح بمعنى تؤلف بين السحب الكهربية الموجبة والسالبة فيتولد الماء فى منطقه من مناطقه فتكون ودقا يعلق بقطيرات الماء وبفعل التفاعلات الكيماوية مع غاز الآزوت فى منطقة أكثر انخفاضا من مناطق السحب يمتزج الآزوت اذن بماء السحب فيصبح أجاجا أى ملحا وهكذا تختلف طعوم وخصائص الماء المتولد عن التأليف بين شحنات الكهرباء سالبة ووجبة بين السحب •

الحـــديد

يقول تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) فالحديد والأرض كانا جزءين من الشمس فانفصلا عنها ومن هنا دقة التعبير القرآنى (وأنزلنا الحديد) وللحديد منافع واستخدامات للكائنات الحية من نبات وحيوان وانسان • فهو يكون عنصر الكولورفيل الذى يساعد النبات على التمثيل الضوئى وهو عنصر لازم لبناء الخلايا فى الحيوان والانسان • ومنه أدوات الطب والجراحة وقضبان السكك الحديدية وعرباتها وأدوات الزراعة وأدوات الحرب وخراسانات البناء والجسور •

الأشعة غير المرئية

فى قوله سبحانه (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون) اشارة الى حقيقة علمية كشف عنها العلم الحديث وهى أن فى الكون طاقات غير مرئية تفوق طاقات البترول والفحم والشمس والذرة منها الأشعة الكونية والأشعة السينية والأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء والأشعة الراديوية وأشعة جاما •

المادة لا تفنى ولا تستحدث :

قال سبحانه (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)أثبت الدكتور عبد العزيز اسماعيل ان العلم الحديث انتهى الى أن المادة لا تفنى ولا تستحدث ولهذا فصوتنا حين نطلقه فى الفضاء يحتبس فيه ويمكن أن نعيده بالتسجيل على اسطوانات وأشرطة وكذلك صورتنا الضوئية مع صوتنا يمكن اعادتهما كما هو حادث فى التليفزيون ٠ ان المادة حبيسة صندوق هو هذا الكون ٠ فالحيوان والنبات والجماد ينبعث منه ٠ يخلق الله الانسان ليفنى بعدئذ متفتتا كما تفتتت بقية الموجودات ٠ والى هذا يشير قوله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) ٠

الكمـــون

فى الآية (٠٠٠ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) ٠حقيقة علمية تعرف عليها علماء الأرض والجيولوجيون ٠ حين قالوا حديثا بأن على الأرض منذ حوالى مائتين وخمسين مليون سنة مستنقعات بها طحالب غزيرة وأن أوراق الشجر على ضفاف تلك المستنقعات كان يتراكم طبقة فوق طبقة ويتعطن ثم تجىء طبقات أخرى من الطحالب والنباتات المائية وأوراق الشجر فتغطى الطبقات الأولى وتتعطن وهكذا دواليك ثم تجىء مياه الأنهار بالطمس فيكسو كل تلك الطبقات وهكذا على مر العصور تتكون طبقات من الفحم فى باطن الأرض ٠ والى مثل هذه الحقيقة أيضا يشير قوله سبحانه (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) ٠

قانون الجاذبية

قال تعالى كاشفا لعصرنا حقيقة كونية (الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ٠٠) فالسماء مشدودة لعمد غير مرئية لنا وهى قانون الجاذبية فكل مافى الكون مشدود بعضه الى بعض بقوة واحكام وفى وحدة وجودية ـ رائعة ـ مشدود بقانون الجاذبية ، كل شىء على الأرض ينجذب اليها وهذا ما كشفه اسحاق نيوتن فى القرن السابع عشر والهواء منجذب الى الأرض والا لا نفك منها ٠ والقمر منجذب على الأرض ولهذا يدور حولها ، والشمس ومجموعة أفلاكها منجذب بعضه الى بعض بهذا القانون ، وعلى الأرض لوجـ قانون الجذب لفاضت البحار والأنهار ولكن مياه كل منها محبوس فيها بحكم قانون الجاذبية ٠ ولولا هذا القانون لطار عن الأرض كل ماعلى الأرض ٠ لولا

هذا القانون لانفرط كل مافى الكون (ان الله يمسك السماء والأرض أن تزولا) • ويقول سبحانه (ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه) •

الضغط الجوى

يقول سبحانه (ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء) • تشير هذه الآية الى حقيقة علمية وهى اننا كلما ارتفعنا فى الهواء خف الضغط وقلت نسبة الاكسيجين حتى تنعدم • فعلى الأرض يتعرض الانسان لضغط جوى قدره ١٥ رطلا على كل بوصة مربعة من الأرض ويعادل الانسان هذا الضغط بقدر مماثل فى الأكسيجين بداخل الجسم • ومن هنا يكون التوازن • وعلى بعد ٢٢ كيلو متر من الأرض فى الفضاء تتوزع نسبة ٨٩٪ من الأكسجين وكلما ارتفعنا تقل نسبة الاكسجين اللازمة لمادة الهيموجلوبين فى الدم حتى اذا انعدم الاكسيجين كان هلاك الانسان ولذلك تزود الطائرات بالهواء المضغوط الذى لا يسمح بتسربه من الطائرة لحفظ حياة ركابها فى الفضاء •

التلـــوث

يقول علماء الطبيعة الآن ان ثمة تغييرات مناخية خطيرة ستنتج من قطع أشجار الغابات وتلوث المياه والأجواء بالغازات السامة • وان القاء النفايات الذرية فى أعماق البحار ينتج عنه قتل جميع الأحياء المائية • الشاهد فى هذا كله ان للـــه حكمة فى تنسيق الطبيعة وتوزيع أدوارها بين جبال وبحار وهواء • وجعل كل ذلك متاعا للانسان والحيوان • ولكن الحضارة المادية الحالية التى وجهت العلم للشر وللايذاء أفسدت جمال الطبيعة وملأت اجواءها بالسمـــوم والميكروبات •

الشفــع والوتر

يقول تعالى : (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر . هل فى ذلك قسم لذى حجر) بعيدا عن حقائق علوم الذرة التى تفسر بها هذه الآية وذلك أن كل نواة فيها الكترون سالب ونيترون موجب • وأن وزن البروتون يعادل تقريبا وزن النيوترون لأنوزن الالكترون من الضآلة بحيث لا يحسب حسابه فانا نفضل ما ذهب اليه دكتور محمد أحمد الغمراوى من حقيقة رياضية اجمالية وهى أن كل معدود لا يخلو عن أن يكون شفعا أى زوجيا أو وترا أى فرديا •

الظلمة والضياء ـ بيضاوية الأرض ـ الجبال

قال تعالى : (··· أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ··) ·

(أ) أغطش ليلها:

نسب الأغطاش وهو الكلمة الكثيفة الى السماء ، نعم ان مرتادى الفضاء قد كشفوا أن فى النهار وخارج نطاق الكرة الأرضية يكون الفضاء ليلا مظلما وتبدو الشمس كرة بيضاء تحيطها الظلمة · كما تبدو منها النجوم تلمع فى الظلمة · لماذا ؟ لأن الضوء لا يرى الا اذا انعكس على ظهر المرئى وساعد على تنبته الغلاف الهوائى المحيط بالكرة الأرضية ·

(ب) والأرض بعد ذلك دحاها :

كان السائد عند العلماء قبلا أن الأرض مستوية ثم قال طلليس بانيها كروية حتى أثبتت علوم الفضاء أنها بيضاوية كما ذكر القرآن فقد رأى الفضائيون انبعاج الأرض عند خط الاستواء وفرطحتها عند القطبين وكلمة (دحية) عند العرب يعنى بيضة) فدحاها يعنى جعلها بيضاوية ·

(ج) والجبال أرساها :

الجبال النارية تحتها غازات مذابة سائلة أكثف من سطح الجبال ومن هنا امتداد جذورها فى تلك الغازات ، أما الجبال الرسوبية فقد تكونت طبقاتها من الرمال فوق البحار على مدى العصور وامتدت جذورها الى أعماق سحيقة فهى بها راسية ·

أحياء الأرض الهامدة

قوله تعالى : (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) والأرض الهامدة هى الميتة الجرداء ينزل الماء فيتسرب بين جنبات القشرة الأرضية يحرك سكونها وتتسع المسافة بين الجذيات ويختلط بالعناصر الويمائية من التربة فتبتل قشرة الأرض وتتغذ بها الشجرة وفى هذا اهتزاز وحركة وحين تتشقق النواة وتمتد منها الجذور رقيقة وعلى السطح أولا ثم تعمق وتنتشر فى باطن الأرض ففى هذا اهتزاز

حركى ونماء • وتكبر الشجرة بأغصانها وأوراقها وثمارها وفى هذا اهتزاز ونماء •

الأرض الهامدة

ينطوى قوله تعالى : (وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) • حقيقة علمية جيولوجية دقيقة فالأرض ساكنة ثابتة فاذا ابتل طينها بالماء تمدد الى أعلى واهتز وتحرك أسفله بجذور النبات وشعيراتها •

نقص أطراف الأرض

ويقول سبحانه (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) فاثبتت البحوث الجيولوجية أنه منذ قديم حين انفصلت الأرض عن الشمس وهى تتناقص من أطرافها كما ثبت ذلك القطر الواصل بين قطبيها •

تصدع الأرض

ويقول تعالى (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع) فالرجع هو الماء الذى تصاعد بخارا من الأرض فكون سحبا يتمدد وتسقط مطرا • والأرض ذات الصدع هى التشقق بالنبات أو تتصدع مما فى باطنها من بترول وغاز ومعادن مصهورة •

حركة الأرض

مثالان : أولهما قوله سبحانه (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) • فالصاعد الى الفضاء ليرى الأرض مضيئة يجدها من قطبيها كروية هذا من حيث المنظر العام فاذا نظر الى تتابع الليل والنهار على الكرة الأرضية، يجد أن نصف الكرة المضىء اذا جاء الليل يلفه الظلام بينما النصف المظلم يلفه النهار فى هيئة كروية •

مثال ثان : (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) الأرض بها منخفضات هى المحيطات والبحار • ولتوازن حركتها السريعة وهى تدور فى الفضاء لابد من مرتفعات هى الجبال والا بدت كمرآة وضعت فى كف مشلول•

عمارة الأرض

ان الأرض وحدها من بين الكواكب السيارة التى تصلح للحياة فينمو عليها النبات ويعيش الحيوان ويعمرها الانسان وفى هذا يقول سبحانه (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) ٠ ويقول سبحانه (والأرض فرشناها ٠٠) ، ويقول (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) ٠٠ الى آيات أخرى كثيرة ٠ وان الكواكب الأخرى قد تبعد من الشمس أكثر من بعد الأرض عنها أو تقترب من الشمس بأكثر من اقتراب الأرض منها وبعضها كعطارد والزهرة يواجه نصفها الشمس كالقمر فيكون حارا ويواجه النصف حرارته لا تتيح الحياة بينما النصف الآخر شديد البرودة هذا الى كثافة أجواء تلك الكواكب ٠

ومعروف أن الانسان يمتص نسبة معينة من الاكسيجين بينما النبات يخرج نسبة معينة من الاكسيجين فالتوازن بين الأمرين جعل الأرض صالحة لحياة النبات والانسان ٠

ارضاع الأبناء

من الاعجاز العلمى فى قوله سبحانه (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) ثبت أن لبن الأم بتعقيمه الطبيعى الآلهى يقوى جسم الطفل ويقيه من كثير من الأمراض التى يعانى منها كثير من أطفال اليـــوم الذين يرضعون اللبن الصناعى ولا تتوفر له وسائل التعقيم الكافية ولا فيه عناصر التغذية الالهية المتوفرة فى لبن الأم ولهذا شاهدنا اليوم كثيرا من أمراض الحساسية والمعدة والقولون مما لم يكن يشكو منه الطفل رضيع لبن الأم ٠

ثم ان فى ارضاع الأم لوليدها يجعل بالأم النفساء أن يعود ثديها من حالة الاحتقان الى وضعه الطبيعى وكذلك يستقر رحمها ٠

ومن الناحية النفسية فان التصاق الابن بالأم وهو على صدرها يبعث تيارا عاطفيا كهربيا يسرى من الأم الى الرضيع ومن الرضيع الى الأم ومنها الى الأب فى دورة حنان وحب ورحمة ٠

ثم انا نجد فى الحديث النبوى أن الرسول كاد ينهى عن الغيلة ، وهى اتيان الرجل زوجه وهى ترضع لما فى ذلك من ضرر الرضيع ٠ واجد فى هذا ما هو خير دليل على تنظيم الأسرة فان جعل مدة الارضاع حولين كاملين كى لا تحمل فى أثنائهما وتتوفر على تغذية وتربية الرضيع ٠

الـدم

يقول تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) لقد أدت مكتشفات عصرنا للجسم الانسانى بالميكروسكوبات والأجهزة وعلم التشريح الى الوقوف على معجزات الله فى خلق الكائنات . ونشير اليوم الى عنصر واحد فى الجسم الانسانى هو الدم . يقول عنه دكتور آن روث العالم الأمريكى : انه سائل الحياة فى الجسم الانسانى وهو السائل الوحيد من بين أجهزة الجسم الانسانى يمتد من القلب الى أقصى أجزاء الجسم حاملا ملايين الخلايا التى تصلح الخدوش وتقتل البكتريا وتدفع بالغذاء الى خلايا الجسم وتطرد النفايات عن طريق الجلد وتقضى ما بعد ذلك فى كتب الطب الحديث .

ارادة البطن والتحضر

قوله سبحانه (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) يمثل نموذج التحضر الاقتصادى حيث لا تتضخم شهوة البطن فى الانسان . بل الانسان يمتلك ارادة بطنه فأى طعام يكفيه وأن طعام يلذ له وفق دستور المسلم الذى حدده الرسول فى قوله (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع) واذن لا يستطيع تاجر حبس سلعة أو خزنها أو رفع سعرها نتيجة لتهافت الناس على مآكل ومشارب بعينها . مما نشهده عن عصرنا الحاضر بل وفق تعاليم الاسلام كل شيء مبذول للناس لا يطلب الناس منه الا ما هو ضرورى بلا خزن ولا أنانية وبلا احتكار أو رفع أسعار أو تضخم نتيجة لزيادة سلع واردة على سلعصادرة مما يعانيه اقتصاد العالم . هذا الى ابعاد أخرى صمية عرضنا لها فى موضع آخر .

العـــدة

يقول تعالى : (والمطلقات يتربص بأنفسهن ثلاثة قروء) أى ثلاث حيضات أو طهرات حسب تفسير المفسرين . واذا كان وضع الحامل لجنينها يزيل الشك فى حمل جديد كما ينبه سبحانه (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أما فى حال الشك . فان الأطباء يقولون ان الحمل عادة مؤذنبانقطاع الحيض ولكن يحدث أحيانا أن تحيض الحامل بعد حملها مرة وقد تحيض مرة ثانية ولكن أبدا لم يحدث أنها تحيض للمرة الثالثة ومن هنا فتحديد القرآن للحيضات أو للطهرات بثلاث ايذان ببراءة الرحم من أى حمل أو جنين . وكشف عن هذه الحقائق الطب المعاصر .

الطب الوقائى

قال تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) هكذا فى كلمات موجزة يحدد القرآن دستور الطب الوقائى فالعلماء يرون أن كل أمراض المعدة التى تصيب الكبد والكلى والبنكرياس تؤثر على القلب وهو هذه المضخمة الكابسة التى تمتص الدم من هنا لتضخه هناك ٠ وكلما كان وزن الجسم خفيفا كان جهد القلب أقل فيصبح الجسم والأمراض الباطنية فى معظمها ناتجة عن افراط فى الأكل أو الشرب مما يسبب السمنة وأمراض السكر والروماتزم وضغط الدم وحصى الكلى والنقرس ٠٠٠ الخ ٠ ولو اعتدل الناس فى الأكل وفى الشرب لصحت أبدانهم ٠

لرائحة الانسان بصمة له

(ولما فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) فمن مكتشفات العلم المعاصر أن لكل انسان رائحة خاصة به هى بصمة له تماما كبصمة الأصابع وأفاد الطب الشرعى فى أوساط الشرطة هذه الحقيقة فترسل الكلاب وهى ذات حاسة شم قوية تشم الرائحة التى خلفها من ورائه مرتكب الجريمة لتتعرف عليه بعدئذ من رائحته لو عرض وسط آخرين غيره ٠ ويعقوب عليه السلام منحه الله هذه الكرامة فى أن يتعرف على ريح ابنه ٠

التقلب مع الرقاد الطويل

يقول تعالى فى شأن أصحاب الكهف (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) ولقد لبثوا كما حكى القرآن فى الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وعلماء الطب يقولون ان الرقاد الطويل اذا استمر على جنب واحد تنتج عنه القروح وانسداد فى الدورة الدموية والضغط على أعصاب القدمين ولمنع هذا الضرر يستحب للرقاد الطويل التقلب على الجانبين وهذا ما فعله الله بأهل الكهف الذين أراد الله بعثهم للحياة حينا ٠

علم الأغذية

يقول سبحانه (٠٠ كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله) كل ما ورد فى القرآن من ذكر لمطاعم فيه فوائد للانسان تحقق منها علم الأغذية المعاصر ٠ فمثلا السمك غذاء بروتينى غنى باليود والفوسفور ومواد أخرى

تعرض لها فى بحث تفصيلى دكتور السيد الجميلى وفى الآية الكريمة (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) واليقطين هو القرع وهو غذاء سهل الهضم يصفه أطباء الأمراض الباطنية للمرضى بالقرحة وغيرها وزيته ويعرفه العامة بشربة زيت الخروع يشفى من الدودة الشريطية ٠

وفى الآية (قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها ٠٠ قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) يقول دكتور عبد العزيز اسماعيل ان أفضلية البروتينات من لحم وطيور وأسماك ولبن على البروتينات من حبوب ويقول تكمن فى النوع فجرام من اللحم أفضل من جرام من البقول نوعا ٠

الخمـــر

قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ٠ حرم الخالق الخمر وكشف الطب حديثا أن الخمر لها آثار سيئة على الكبد فتصيبه بالتليف وتسبب أمراض القلب وتسمم الخمائر المعوية فيضطرب الجهاز الهضمى ويتسمم الجسم ، هذا الى ضعف بنية الجسم وتعرضه للامراض لعدم أهليته لمقاومة الميكروبات ٠ هذا الى أو الخمر تضعف الذاكرة وتشوش العقـــل فيضطرب التفكير ولها آثارها التدميرية على النسل الناتج عن أب وأم مدمنين للخمر ٠ هذا وغيره فى تفصيل طبى لسنا من أهله تكشف عنه أبحاث وتجارب الطب المعاصر وأشار فى اجمال اليه خالق الطب والأطباء ٠

الـروح

يقول سبحانه وتعالى : (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ٠ وحاول الفلاسفة منذ قديم والى اليوم كشف ماهية الروح وخمنوا من أين جاءت وكيف تحل فى الجسم والى أين تستقر دون أن يصلوا فى تخميناتهم الى شىء علمى معه دليله يقنع العقل وتطمئن اليه النفس ٠ ونجد أمثلة من هذا ماكتبه العقاد فى كتابه (الفلسفة القرآنية) عن هذا الموضوع ولكن القرآن حسم القضية منذ أربعة عشر قرنا والى الأبد ان أمر الروح مما استأثر الله بعلمه ولن يصل البشر فيه الى شىء ، وأثبت بهذا الحكم الحاسم اعجازه العلمى فى قصور المعرفة البشرية أن تقتحم سرا من أسرار اللـه ٠ وأبدا ستظل كل الأسئلة حول الروح بلا جواب ٠

الجهاز البشرى

قوله سبحانه (وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون) ودارس الطب يجد فى كل جزء من أجزاء الجسم البشرى ما يشير الى عظمة الخالق ودقة صنعه فى اللسان والأذن والبصر واللمس والجلد فى الجهاز العصبى . وفى كيماء الجهاز الهضمى . وفى الدم .. ويكفى ان أشير الى واقعة عاينتها فى احدى قريباتى حين كانت تشكو ثقلا برأسها ويميل جسمها الى ناحية اليسار وتحس وهى تسير كأنها موشكة على الوقوع وهذه الظاهرة كما كشف عنها الطبيب المعالج وهو استاذا جامعى تابه انها نتيجت لأن السائل فى احدى الأذنين قل عن نظيره فنتج هذا الانعدام فى التوازن وهكذا كل خلل أو مرض يصنيب الجسم انما يشير الى عظمة الخالق الذى أحكم صنع هذا الجهاز البشرى بقوانين دقيقة تضبطه وتعمل بوحى القدرة الالهية .

السمـــع

وتلك الحاسة عند البدوى أو ساكن الغابات أقوى منها عند الحضرى حيث الضجة تؤثر على قوة السمع .

ومن عجيب مانجده فى القرآن اشارته سبحانه الى فرق مابين الاستماع المجرد والتركيز فيه (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا) وفى تربية الحس الموسيقى وتنميته مضافا الى الجانب الاساسى وهو الفهم الواعى وجوب الترتيل للتدبر والاحساس بالمعنى وجماله الاسلوبى قوله سبحانه (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذ قرأناه فاتبع قرآنه) وقوله سبحانه (ورتل القرآن ترتيلا) . والسمع باب من الجوانب الرحبة فىالبحث القرآنى ، فالشيطان مدخله الى الانسان عن طريق السمع (الذى يوسوس فى صدور الناس) .. وعن الرسول قال المشركون انه (أذن) فرد القرآن بقوله (أذن خير) . وفى وصف المشركين قال (سماعون للكذب) وعن الصوت الخفى قال سبحانه (.. وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) . وفى نكارة الصوت الجهير قال سبحانه (واغضض من صوتك . ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) .

وفى الاحساس السمعى تعبيرا عن الاحساس النفسى يقول سبحانه عن المنافقين الجبناء (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم) والبحث مديد ورحب ...

استخدامات لتعابير الحواس الخمس

ليس الاستخدام القرآنى لها مباشرا بل بالاشتقاق مثلا (بل الانسان على نفسه بصيرة) و (شاهد ومشهود) و (انظرنى الى يوم يبعثون) ٠٠ مثلا فى حاسة الأبصار ارتبطت تلك العبارات بالحالة النفسية (تجرى بأعيننا) (ولتصنع على عينى) ٠٠ وفى حاسة السمع (أذن للذين يقاتلون) ٠٠ و (آذان من الله ٠٠) و (واذن فى الناس بالحج ٠٠٠) ٠

البصر والسمع

توقفت عند الآية (أبصر به واسمع) وعندما يقوله العلماء من سبق البصر على السمع وقد أجرى أبو بكر الرازى تجربة فى هذا السبيل اذ جمع جمعا ليشاهدوا رجلا يصعد الى أعلى التل ومعه طبل وأمره أن يدقه حين يشير اليه بيده كما أمر الجمع أيضا أن يرقبوا الرجل ٠حين يشار اليه ليدق بالطبل، ثم أشار الرازى للرجل ودق الطبل وهنا قال الرازى لقد تمت التجربة فأنتم شاهدتم الرجل وهو يشار اليه وسبقت رؤيتكم له سماعكم لدقه ٠ واذن فالبصر مفتوح المجال بينما السمع موقوت بلحظة السماع ٠

الحواس الخمس فى القرآن

ان الحواس الخمس هى الصلة بين العالم الخالجى ٠٠ وبين عالم الانسان الداخلى ، وتتجمع التأثيرات الخارجية على الحواس لتصب فى المخ مصدر الاحساس والحكم ٠ وكل حاسة من الحواس الخمس مرتبطة ارتباطا خاصا بجانب من جوانب المخ فاذا انقطع مثلا الجانب البصرى ٠٠ لا ينقطع الاتصال بالجانب السمعى وهكذا ٠

البصـــر

من أغلى الحواس عند الانسان وبها يدرك الصور والالوان ولكـــن الاحساس بها يتم فى المخ حيث تبدأ عملية مقارنة بين الصورة المرئية وما أختزن فى المخ من صور لتحكم بأن هذه الصورة للأم أو الصديق ٠٠٠ الخ ٠ ومن عجب تلك الصورة البصرية فى القرآن حيث يكثر الله عدد المسلمين فى وقعة بدر فى نظر الكافرين بينما يقل عدد الكافرين فى نظر المسلمين ٠

وللعيون لغة يعبر بها عن الأحاسيس : (وابيضت عيناه من الحزن) ٠٠

(يعلم خائنة الأعين) ٠٠ (تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت عليه) ٠٠ (وان يكاد الذين كفروا ليزلفونك بأبصارهم) ٠٠ (٠٠ كى تقر عينها ولا تحزن) ٠٠ والعين تتخيل (٠٠ والذين كفروا وأعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ٠٠) ٠٠ بل والعيون ترى الرؤى فى المنام ٠٠ والقرآن حافل بالشواهد ٠

اليـــد

ان اليد اداة هندسية معقدة ، وهى التى تبنى الحضارة وتشكل الفن وتتحمل كثيرا من أعباءها اليومية وليس لها هذا المظهر الخارجى فحسب بل هى تعبر أيضا عن الحس الداخلى كالمعانقة والمصافحة واللكم والضرب ٠٠ الخ٠ لغة للاحساس ٠ كما أنه باليد يستعاض عن بعض الحواس ٠ كالبصروالسان والسمع ٠٠٠ :

استخراج الأمثلة القرآنية : البناء ، الحالة النفسية

فمن آيات العمل (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) ومن آيات خلق الله وفيها الأيدى مجازا عن الخلق (قال ياأبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) وفى آيات الجهاد قوله سبحانه (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) ٠ وفى شأن الوضوء : (اذا قمتم للصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق)

الجلـد

يقول سبحانه (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلمـــا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) فى الآية ارتباط بين الجلد وذوق العذاب وهذا يشير الى حقيقة علمية فى علم وظائف الأعضـــاء توصلت اليها البحوث المعاصرة فى التشريح وهى أن فى الادمة وهى طبقة تحت سطح الجلد الخارجى توجد مراكز الأعصاب والاحساس ٠ والدرس التفصيلى لهذا فى العرض للجسد فى الدرس الطبى ٠

السمـع

يقول سبحانه (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) ٠ وهنا حقيقة علمية معجزة توصل اليها المعاصر وهو أن السمع يسبق فى وظيفته البصر ولهذا قـــدم السمع هنا وتكرر تقديمه سبع عشرة مرة فى القرآن ٠ ولهذا نجد الطفل عند ولادته يسمع أولا ولا يميز الضوء ببصره الا بعد خمسة عشر يوما ٠

وقوله سبحانه (وضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا) لأن الحواس كلها عند النوم تقف عن أداء وظائفها ماعدا الأذن ولهذا ضرب الله عليها فى قصة أصحاب الكهف أكثر من ثلثمائة سنة فلما بعثوا ظنوا أنهم ناموا يوما أو بعض يوم ·

فى قوله (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) يقول الطب أن كل أجهزة الجسم تستريح وتسترخى الأعصاب تبطىء حركة الجهاز الهضمى ويقوم الجسم ببناء خلاياه ·

التوازن فى المأكل والمشرب

يقول سبحانه (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) فهذه آية تشير الى ناحية اقتصادية هامة فى حياة الأمم ان الاسراف فى الأكل والشرب هما من مظاهر الترف وان لهما أبعادهما السلوكية والاجتماعية والصحية ·· الخ ويلقى حديث الرسول (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع · واذا أكلنا لا نشبع) · ان الجائع لا يحتار مطعما أو مشربا ·· فكسوة الخبز تذهب عنه ألم الجوع وشربة ماء تغنيه انما الذى يختار لمطعمه ومشربه هو المترف التى سدت نفسه فيتغلب على ذلك المشهيات ويملأ بطنه عنوة ، فأمامه عدة ألوان من الطعام يتخير من كل منها شيئا لعل نفسه أن تقبل على الطعام ··

معادن فى الانسان

ويقول سبحانه (خلق الانسان من صلصال كالفخار) اشارة الى أن أصل الخلقة من الأرض وفى الجسم من معادن الأرض كالحديد والخارصين والماغنسيوم ··· الخ ·

الابل

قال تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) تشير الى حقيقة الاعجاز العلمى للقرآن فقد خلق الله الابل وكيف خلقها للحياة فى الصحراء فجعل جسمه يبرد فى الليل الى ٩٥ درجة فهرنيهت ويسخن بالنهار الى ١٠٥ درجة فهرنهيت وجعل على جسمه وبرا يصل الى بضع بوصات لتمنع تسرب الماء من الجسم عن طريق العرق · والدسم كله مكتنز فى السنام ·· والمواد النتروجينية بدل أن يخرجها تعيدها الابل الى المعدة لتساهم فى تكوينها ·

الصـــــوم

فرض الصيام ووردت الفريضة فى أكثر من آية وبخاصة الآية (وان تصوموا خير لكم) • وقد أشار المتخصصون مثل دكتور عبد العزيز اسماعيل الى أن فى شهر الصوم تختفى كثير من الأمراض الباطنية مثل ضغط الدم وبعض أمراض القلب والزلال عند السيدات كما أن طبيبا مثل دكتور الظواهرى أستاذ أمراض الجلد يقول ان مقاومة البشرة للامراض تزداد بجفاف الماء من البشرة فى الجلد كما أن طبيبا أجنبيا هو اليكسيس كاريل يقول ان الخلايا الانسانية تتجدد بالصوم ويقضى على البؤر الصديدية التى تفرز سمومها فى الدم • وبالصوم تتفتت الحصوات •

الصوم طبيا

قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فالصوم صلة بين العبد وربه ولها معان ووظائـــف دينية ونفسية وخلقية واجتماعية ولكن الفوائد الطبية تكشفت فى عصرنا فيقول أطباء الغرب أن سموم الغذاء فى الجسم تتحلل وقت الصوم فتذوب ويخف وزن الجسم وينشط الذهن وتستريح أجهزة الجسم وتتجدد خلاياه وتنشط أجهزة الدفاع والمقاومة فى الجسم ويسهل الهضم ويضبط وقت الأكل ويخف التوتر النفسى ويهدأ النوم ويخف ضغط الدم وبعد عشرين يوما من الأفطار بعد الصوم يعود للجسم وزنه وتكثر حيويته ويتجدد نشاط خلاياه• واثبت هذه الحقائق قسم الصوم بالمعهد النفسى بموسكو باشراف دكتور نيكولاييف •

الميتة والدم ولحم الخنزير

يقول تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) أما تحريم الميتة فلأن عدم اسالة دمها يساعد على نمو البكتيريا فيها والحاملة لميكروبات الأمراض كما أن الميتة نفسها قد تكون حاملة للامراض المعدنية أو ماتت مسمومـــة بالمواد الكيماوية فتنتقل عدواها أو سمومها الى آكلها •

أما الدم فهو سريع الامتصاص لميكروبات الأمراض واذا ما تعرض للهواء تكثر فيه البكتريا الحاملة لميكروبات الأمراض •

ولحم الخنزير يصيب آكله بدودة الخنزير الشريطية التى تكمل دورة

حياتها فى جسمه وتتحوطها فى مخه فتصيبه بالجنون أو فى عينيه فتصيبه بالعمى ، والخنزير حامل لميكروبات أمراض كثيرة ينقلها الى آكله ٠ وكل هذه حقائق يكشف عنها الطب الوقائى حديثا ٠

الانفعال وأمراض العيون

فى سورة يوسف عن سيدنا يعقوب أنه ذهبت عيناه من البكاء والحزن (وابيضت عيناه من الحزن) والطب الحديث يعرف أن الانفعال وشدة البكاء يزيد ضغط العين فتتكون مياه بيضاء هى (الكتاراكت) حتى اذا استوت ذهب البصر وهذه الحال هى التى عاناها يعقوب ٠

اللبـــن

فى قوله سبحانه (ونسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) ما يؤكد حقيقة علمية توصل اليها علم الحيوان الآن وعلم وظائف الأعضاء فلقد يظن البعض أن فى كرش معدة الأنعام يرجد اللبن ولكن ليس الأمر كذلك فان الانعام تمتص الغذاء وتحوله الى الكبد فيمتص الصالح منه ويسمى الفرث ثم يحوله الى القلب الذى يحوله الى دم ينتشر فى مختلف أوعية الجسم ومن بينها الضرع ومنه يخرج الدم لبنا ٠

الغذاء فى القرآن

يقول سبحانه مقسما (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) فى ضوء علم الأدوية المعاصر وعلم الغذاء نجد التين والزيتون مذكورة فى مصادرها العلمية فكلاهما غنى بالفيتامينات والتين يفيد فى علاج بعض أمراض الجهاز الهضمى وحصى الكلية ٠ وأمراض التنفس الرئوى ٠٠ أما الزيتون فيفيد فى علاج بعض أمراض الجهاز الهضمى والخصى وأمراض البشرة وعلاج الشعر ٠٠٠ الخ ٠

الكروموزوم

قال تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا) ٠ ويقول سبحانه (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين) ٠ ففى ضوء علم الوراثة الحديث نجد الكرموزومات فى نطفة الرجل تحمل خمسين فى المائة من صفاته

الوراثية وتحمل بويضة المرأة فى كروموزوماتها خمسين فى المائة من خصائصها الوراثية وتتكون من التقاء نطفة الرجل وبويضة المرأة خلية الجنين التى تنقسم الى عشرات ومئات وآلاف وملايين وبلايين الخلايا التى تتكون منها أنسجة وأجهزة وأعضاء الانسان حاملة خصائصه من لون الشعر والعينين والبشرة وسمة الوجه والجمال أو الدمامة ٠٠٠ الخ ما يميز كل انسان عن الآخر مشيرا الى عظمة الخالق واعجاز القرآن العلمى ٠

علم الأجنة

(ولقد خلقنا الانسان منسلالة منطين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين٠٠) بعد ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن جاءت الكشوف الطبية الحديثة وعلم الأجنة والتشريح فلم نجد لها أدق ولا أوفى ولا أصدق ولا أشمل من التعبيرات القرآنية عن تطور الجنين بدءا من الحديث عن آدم المخلوق من سلالة من طين ثم عقبه الذى جاء نطفا وهو الماء الثقيل فى قرار مكين أى الرحم ٠

المخ

جانب من جوانب التفسير العلمى للحقيقة العلمية الكامنة فى الآية (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى) ويكفى العرض للمخ وهو خلية عصبية تتكون من عشرة بلايين خلية تكون كلها وحدة كهربية كيماوية هى مصدر الاحساس والشعور والتفكير ويتصل بأعضاء الجسم بخيوط تسمى الألياف العصبية ، ترسل اليها الرسائل وتصدر الأحكام ٠

وهذه الخلية العصبية فى المخ على شكل هرمى وهى معقدة تقيدا كيماويا وكهربيا شديدا ٠

الرضاعة

قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ٠ تعاونت الأبحاث الطبية المعاصرة وعلوم الأدوية والطب النفسى على أن الطفل الذى يرضع من صدر أمه يتجنب أمراض الحساسية ، وتكون له مناعة ضد كثير من الميكروبات ، ويسلم من مرض السرطان ٠ أما النص على حولين كاملين فلانه فيهما يستوى للطفل السلامة الصحية والنفسية ٠٠ وان الأمر الالهى للأم بالرضاعة لأنها وحدها أودع الله فى صدرها ما يتواءم وحالة الجهاز الهضمى للطفل فيكون اللبن فى أول الأمر سائلا أصفر خفيفا ٠

يسهل على معدة الطفل ثم يتغير بعد ذلك الى اللبن المألوف · وان ارضاع الأم لطفلها يجنبها نزيف الدم ويسرع باقرار رحمها ·

الصلاة وتمرينات الدماغ

قال سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) ·· الى جانب ما تحض عليه الآية من أمر بالصلاة والعبادة لله وحده وهي صلة بين العبد وربه فهي تتضمن حقائق علمية كشفها الطب الحديث وسجلها في أحدث دراسة له دكتور ابراهيم الراوى من سوريا · تقول الدراسة ان حركة السجود والركوع من أروع الممارسات العمليـــة لتنشيط شرايين المخ وتقوية جدران الحجر الدماغية بتقلص وانقباض تلك الجدران تندفع الكتل الدموية في الشرايين المخية ، والغازات المذابة الحيوية في المراكز العصبية فتنشط الدورة الدموية في المخ ، ويساعد ذلك على قوة القابليات الذهنية وضروب التفكير العميق · هذا الى أن مافي الركــــوع والسجود والانتصاب والقيام وما يصاحب ذلك من سكون ما يساعد على قوة التركيز · والحصيلة قوة التفكير وعمقه ، وتركيز ، وقوة ذاكرة وجو عقلي يساعد على التأمل والابداع الفكرى ·

ماء الحياة وعلم الأجنة

قال تعالى : (فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب) مهد لعلماء الطب المعاصرين ان ماء الحياة موضعه في الرجال الصلب وموضعه في النساء في مكان بين عظام الصدر هو لا يعرف بالترائب·

وقال سبحانه (أيحسب الانسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) كشف علم الأجنة أن نطفة الرجل هي التي تحدد نوع المولود فالمرأة تفرز مع كل شهر قمرى بويضة واحدة تحمل من عوامل الوراثة ما يرمز اليه ب × بينما نطفة الرجل تحمل من تلك العوامل الوراثية ما يحمل · منها الرمز × والرمز ‎ · فاذا التقت بويضة المرأة × بنطفة الرجل × كان المولود أنثى اما اذا التقت بويضة المرأة × بنطفة الرجل ‎ كان المولود يحمـــل خصائص ‎ أى يكون ذكرا ·

وقال تعالى (يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث) ظل العلماء يتخبطون في تفسير تلك الظلمات الثلاث حتى كشف علم

الأجنة المعاصر انها أغشية ثلاث حول الجنين تحميه من الضوء والماء والحرارة ٠

العســـل

فى قوله تعالى (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ٠ ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ٠ ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ٠ اثبت الطب الحديث أن فى العسل شفاء فمنذ ثلاثين عاما شاع فى أمريكا أن العسل حامل للميكروبات تماما كاللبن وقام حديثا عالم أمريكى بتعريض العسل لكافة الجراثيم حين وجدها جميعا تموت بالعسل ٠ واسم هذا العالم (ساكت) أما الجراح الانجليزى (بولمان) فقد أثبت أن العسل يعقم الجروح من التقيح التلوث ٠ وأثبت علماء روسيا فائدة العسل لالتهابات الحنجرة والأنف ٠ كما استدل على أن غالبية المعمرين ممن يأكلون العسل ٠ وللعسل فوائد للقلب ولقروح المعدة والكبد والحمى الروماتزمية والتيفود وللأمراض النفسية كالكآبة وضيق النفس ٠

النحــل

فى ضوء علم الحياة يقول فى قوله سبحانه (وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ٠ ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) ٠ فبالهام من الله تنقسم جماعات النحل بتدبير ونظام وحكمة وعقل ، فجماعة تقوم ببناء مساحات متساوية الأبعاد بين كل خلية وخلية والتى يبنيها مهندسو النحل على شكل سداسى ، وتقوم جماعة أخرى باستكشاف غذاء النحل ثم تعود للخلية مهتدية بمعالم كالبيوت والشجر والشمس يهتدون بحاسة فيهم وبرائحة تفرزها النحل فى مقدمة كل خلية فاذا كان مكان الغذاء قريبا رقصت جماعة المكتشفين رقصة دائرية وان كانت الامكنة بعيدة رقصت رقصة اهتزازية وان كان المكان بعيدا جدا تمهلت فى رقصتها ، وفى كل حالة ينطلق الشغالة مع جماعة المكتشين لجمع الغذاء وحبوب اللقاح ٠ وتقوم جماعة أخرى من النحل بتنظيف الخلايا من النحل الميت ومن الغبار وبسد الشقوق بمادة الراتنج ٠

النمــل

يقول سبحانه (٠٠ فلما أتوا على وادى النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم ٠٠٠) توصل علماء الحيوان الى أن النمل خلق يشابه الانسان

فى سلوكه فهو له لغة . ويبنى البيوت ويشق الأنفاق ويدخر الطعام وتفضى مثل هذه الأمور الى نتائج شائقة تعطى أبعادا عميقة للتفسير العلمى للقرآن السابق لكل الكشوف العلمية ٠

علم الأحيـــاء

قال تعالى (٠٠ وجعلنا من الماء كل شىء حى) ٠٠ اثبت علماء الحياة فى عصرنا الحاضر ان أصل الحياة فى الكائنات الحية هو الماء وأن فى كل كائن حى خلايا هى وحدة الحياة وتكوين معظم النوايا فى هذه الخلايا من المـــــــاء ٠

الرطـب

يقول تعالى (٠٠ وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكل واشربى وقرى عينا) فى هذا الوقت (ميلاد المسيح) سواء ٢٥ ديسمبر كما عند مسيحيى الغرب أو ٧ يناير كما عند مسيحيى الشرق لا تثمر النخيل رطبا ولكن قدرة الله شاءت والرطب كامل العناصر من بروتينات ودهـــن وأملاح ٠ كما أنه يروى العطش ٠ ومن هنا (فكلى واشربى) ٠ وبهذا الرطب هرمون يمنع من أمراض الحمى والنفاس ولذا جاء التعبير (وقرى عينا) ٠ قوله سبحانه وتقف معه وقفة ثانية (٠٠ وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقـرى عينا) تقف عند الرطب كدواء لا كغذاء فقد أثبت دكتور عبد العزيز شرف استاذ الأدوية بجامعة القاهرة ٠ أنه يمكن ربط حالة مريم وهى فى أواخر حملها بعيسى بتناول الرطب ٠ فالحامل قبل الولادة تأخذ هرمونا أنثويا يقوى انقباضات الرحم وأكل الرطب يقوم بهـذه المهمة كما أن الحامل تأخذ ملينا حتى لا تمسك البطن ويكون فى ذلك ضرر الجنين وضرر على الأم فتضغط الرحم على الامعاء ٠ ثم انه بعد الولادة يساعد أكل الرطب على طرد بقايا الدم من الرحم بسرعة لأن فى بقائها به ما يعرض الأم لحمى النفاس ٠ كما انه يطرد نفايات ما فى الأمعاء فلا تضار الأم ٠ ويقلل من نسبة ضغط الدم لديها ٠

أما الرطب كغذاء فهو عالى القيمة الغذائية ٠ وكشراب به نسبة عالية من الماء والرطوبة وليست ثمرة الرطب وحدها فيها هذا كله بل بالتجارب العملية ثبت أن نواة الرطب لها نفس المزايا ٠

الكائنات الدقيقة

قال سبحانه (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) ٠ الى ما قبل عصرنا الحاضر كان العلماء يرون أن الأزواج على ماتراها حواسهم من انسان وحيوان ونبات وجماد الى أن اخترعت الميكروسكوبات فرأوا أشياء دقيقة لم تكن تراها أعينهم ثم تطورت المكتشفات فاخترع الميكروسكوب الالكترونى الذى أرى عوالم خفية غاية فى الدقة هى عالم الفطريات ورأى أن الزوجين ثمة خيوط بينهما تتكون بينهما أجنـــة الفطريات التى تحمل خصائص كل من الذكر والأنثى ، وهذا ما أشار اليــه قوله سبحانه (ومما لا تعلمون) ٠

أما بقية العوالم فان لكل منها بروتين ذكر وأنثى أو سالب وموجب ، كونا باتصالهما الجنين ٠ ولو فرض ووضعنا بويضة انثى انسان وفيها ماء أى ذكر من كائن آخر فانه لا يخصب البويضة لأن لكل كائن حى خلية بها حبات أو عقود أو كرموزومات أو أمشاج تحمل الخصائص كل التى ستورثها من بياض لون ولغة معينة وبياض شعر وطول قامة وهيئة فم وأنف ٠٠ الخ٠ (وللموضوع أبعاد بحثها دكتور عبد المحسن صالح أستاذ الكائنات الدقيقة)٠

الالهـام

يقول تعالى (قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) تشير الآية الى قضية كونية اكتشفها العلماء المعاصرون وسموها قانون الهداية أو الالهام فكل شىء فى الكون يسمى قانون الإله الخالق هداية والالهام مثلا : الحيوان المنوى يتجه واحد بعينه من بين مئات برائحة خاصة الى بويضة للأنثى فى انتظاره وكأنهما على ميعاد ٠

وأنثى ثعابين الماء تغطس الى أعماق الماء حيث تضع بيهضا ثم تموت ولما يفقس يتجه الثعبان الوليد الى الشاطىء ٠

ووضع العلماء جهازا يرصد نوم الطيور المهاجرة فوجدوا أنها تتناوب النوم لمدة خمس عشرة دقيقة تكون كافية لتحديد نشاطها وتسير وهى نائمة بصوت رفيقاتها اليقظات الطائرات ٠

التمثيل الضوئى

آية (نخرج منه خضرا ...) أثبت علــم النبات الحديث أن الخضر أو الخضرة أو الكلوروفيل ، يشكل مادة ينمو بها النبات ويخرج الثمرفيمتص الضوء بواسطة النبات ويحوله الى سكر وهو ما يعرف بظاهرة التمثيــل الضوئى .

(.. الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) . تشير الآية الى حقيقة علمية تعرف بالتمثيل الضوئى ففى كل وريقة شجر خلايا تمتص الضوء فتحول الماء وثانى اكسيد الكربون الى مادة خضراء هى الكلوروفيل ، فاذا جفت الوريقة واشعلت انطلقت الكامنة فيــها ، اما اذا امتص أو أكل الحيوان وريقة الشجر ساعدت الطاقة الكامنة فى وريقة الشجر على نمو خلايا الحيوان .

المشــارق والمغــارب

ويقول أيضا سبحانه (المشارق والمغارب) فالحقيقة العلمية ان لكل كوكب ونجم مشرقا ومغربا لهذه الأرض اذا دارت حول نفسها أمام الشمس كان ما عليها مشرق الكواكب بينما فى الجزء المقابل مغرب الكواكب ، فاذا دارت كان قطاعها الثانى مغرب الكواكب بينما القطاع المقابل مشرق كواكب أخــرى .

بيت العنكبــوت

يقول سبحانه (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) .

والآية تؤكد ما وصلت اليه حقائق العلم فى باب الكائنات الحية من أن التى تغزل البيت هى أنثى العنكبوت ولهذا يقول سبحانه (اتخذت بيتا) ويحار الباحث فى روعة البناء الهندسى لهذه الحشرة العنكبوت التى توجد فى مقدمة جسمها ما يسمى بالغازلات تفرز سائلا كيماويا ما أن يلامس الهواء حتى يصبح نسيجا من حرير . ومن عجب انها تتخذ أيضا فضلات من حرير . وتفضى دراسة هذه الحشرة فى علم الحيوان الى الاطلاع على مزيد من أسرار صنع الخالق .

الاثنينية

يقول سبحانه (وأنبتنا فيها من كل زوج كريم) هذه الاثنينية تشير الى ما يعرفه علماء الجيولوجيا من أن الزهر فى النبات يحمل حبوب اللقاح تذكيرا وتأنيثا وانه يقوم بالتلقيح الذاتى أو بواسطة الريح التى تحمل حبوب اللقاح الى زهور أخرى ٠

الأنعـام

(وان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه ٠٠٠) ٠ أمـا المنافع الدنيوية العملية الظاهرة فى أن الأنعام وهى : البقر والابل والغنم والماعز تأكل لحومها ونشرب البانها وتسقى الأرض وتحرث الزرع ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها مسكن ولباس الى جانب انها تنقلنا من بلد الى آخـر وللدكتور غريب الجمال بحث فى فوائد الانعام الدائية فيستخلص من كبدها فيتامينات مختلفة أ/ج/هـ ٠٠٠ الخ لتعالج نقصا أو مرضا عضويا الى جانب أن أمعاء الماعز خيوط متينة للعمليات الجراحية والاشارة هنا مجملة والتفصيل والتخصيص يتعمقه دارسى الطب والصيدلة ٠

مجتمع الطير والحيوان

يقول سبحانه (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ٠٠٠) ٠ تشير الى حقائق علم الأحياء التى اكتشفت فى عصرنـا الحاضر ٠ وهى أن لمجتمع الطير والحيوان معايير وأساليب ونظم حياة ٠ فأنثى البط المعروفة بالشهرمان تعرض نفسها للعدو دفاعا عن صغارها وتتبنى الصغار أنثى غيرها وهكذا ٠ وهناك نوع من الطيور فى غانا تبنى فى الربيع بيوتها من أوراق الشجر وتزين داخله وخارجه بالزهور وكلما ذبلت بدلها بغيرها ٠ وللطيور لغات فطائر النورس يطلق صفيرا للتنبيه أو الانذار فتتجمع طيور النورس عند مكان الانذار ثم تنطلق فى تتابع طائرة بعيدا ٠ والزرزور يسير خلف قائده فى الجو فى نظام بديع لا يتخلف فيه أحد عن الصف ٠ وهناك فئران الحقول تدخر غذاءها بقطع جذور النبات الحاملة للبذور وتحملها للادخار فى أجحارها ٠

البدء والاعـادة

يقول سبحانه (انه هو يبدىء ويعيد) تشير الآية الى دورة الحياة فمياه

البحار والمحيطات ملوحتها لا تصلح للانسان والحيوان • فقضت حكمة الله أن تتبخر يوميا ملايين الأطنان من قطرات الماء لتتكاثف سحبا ثم تبرد وتسقط ماء تتغذى به الأرض والنبات والحيوان والانسان • وكذلك للانسان دورة للماء فى جسمه فهو يلزمه يوميا ليكوين جرامين من الماء يأخذ منها ما يحتاجه ويخرج الباقى على شكل عرق وبول • وكذلك ثانى أكسيد الكربون الذى يخرجه الانسان مع ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الهواء يتحد فى النبات ليتحول الى سكر يتغذى به النبات ويعود النبات للانسان وهكذا قانون البدء والاعادة له عديد من المظاهر فى الكون وقد بحث الموضوع دكتور عبد المحسن صالح استاذ الكائنات الدقيقة •

قانون النشوء

لننظر الى قوله سبحانه (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى) • فهذا ما توصل اليه علماء النشوء من أن الكون المادى غير الحى من سماوات وأرض ينتظمها قانون واحد وسنة واحدة فى الخلق اما الكون المادى الحى فينتظمه هو الآخر قانون شامل • والآية دليل وحدانية الله وانتظام قانونه حيث قسم الأكوان المادية الى حيـة وغير حية • هذا أولا وثانيا فقد أثبت علماء النشوء ان بالشمس من عنـاصر التكوين هى مافى الأرض كذلك من عناصر التكوين دلالة على أن الأرض كانت جزءا من الشمس ولما حلل العلماء عناصر الطيف وجدوا أن بالأرض تسعين عنصرا ووجدوا فى الشمس منها ٦٧ عنصرا • ولم يتيسر لهم حتى اليوم اكتشاف بقية العناصر لعوائق مادية •

فمن هذه العناصر : الهيليوم ، والفوسفور ، والمنجنيز ، والكوبالت ، والذهب ، والفضة ، والالمنيوم ، والماغنسيوم ••• الخ ••

تمدد الكون

فى قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد وأنا لموسعون) • حقيقة كونية تكشفت لعلماء العصر الحاضر بعد دراسة وأبحاث وفكر وبمعاونة التلسكوبات الحديثة والراديو تلسكوب والأقمار الصناعية • ويكفى أن نعلم أن تلسكوبا أمريكيا هو (تلسكوب هل) على جبل (بالرمو) فى ولاية كاليفورنيا الامريكية اكتشف مائة ألف مليون مجرة وأن مدى رؤيته (مليون سنة ضوئية) ولقد اكتشف هذا التلسكوب انتشار المجرات وتباعدها عن بعضها • كان أينشتين

فى نظرية النسبية يرى أن الكون ثابت غير متغير ولكن العالم الامريـــــكى (فرد) أثبت أن الكون ينتشر ويتمدد ويتسع وتتباعد أجرامـــه وأفلاكه بعضها عن بعض ٠ وتؤيده فى هذا من تعاقب بعده من العلماء ٠ ان الكون تتباعد مجراته وافلاكه فهو يتمدد ويتسع وينتشر ، وأشارت الى هــذا الآية الكريمة ٠

الدخــــان

قال تعالى (واستوى الى السماء وهي دخان) ٠ والى عصرنا الحاضركان علماء الفلك والكون ثم حيارى فى أصل مادة هذا الكون حتى اهتدوا الى أنه الدخان ٠ وهى مادة سديمية مظلمة ٠٠٠ ولم يعبر سبحانه بقوله (هباء) لأن الهباء ذرات صلبة ، ولا (بخارا) لأنه جسم متميع سائل ، ولا (هواء) لأنه جسم غازى فالدخان اذن هو مادة الكون الأولى التى تحدث العــــناصر الثلاثة ٠

الجبــــال

وقال سبحانه (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) ٠ دقة التعبير العلمى هنا فالسحاب لا يمر الا بالرياح والجبال لا تمر الا بدوران الأرض حول نفسها دورة سريعة مرة واحدة كل أربع وعشرين ساعة أمــــام الشمس فيكون الجزء المواجه لها نهارا والآخر ليلا ٠

مياه البحار

قال سبحانه (مرج البحرين يلتقيان ٠ بينهما برزخ لا يبغيان) حقيقة علمية اكتشفها علماء البحار فى منتصف القرن التاسع عشر فمهما عمق بحر عن بحر آخر ، فان مياه احدهما لا تطغى على الآخر ، ولا تخالط مياه أحدهما مياه الآخر ٠ ولا تنتقل أحياء أحدهما للآخر وذلك لأن لكل منهما درجة حموضة خاصة كما أن استواء سطحيهما يمنع طغيان أحدهما على الآخر ولأن بينهما حــــد ٠

وقال تعالى (وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طــريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ٠٠٠) ان ماء البحر بما فيه من ملح يمنع من تجمده ويجعل الأجسام الصلبة أو الجامدة تطفوا فوقه ، كما أن ملحه يعقم مياهه ويساعد حيواناته على العوم ٠

غـزو الفضاء

قال سبحانه (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) من على ظهر الأرض استطاع الانسان ـ بقدلة الله وعونه أن يكتشف الفضاء ويغزوه ليحيط بأحوال الكواكب وخصائصها ومزاياها وبين النجوم • واستطاع بالمجاهر الضخمة أن يرى كواكب فى مجراتها على بعد السنين الضوئية من الأرض وأن يرسل بالصواريخ والمركبات الى الفضاء • واستطاع السباحة فى الفضاء والهبوط على القمر •• ولكن دمرت مركبات امريكية بفعل القوة المدمرة للسهب والنيازك• كما أن ثمة جسيمات كونية اشعاعية منها (ألفا ، وباتا ، وجاما) مميتة للجسم الذى يتعرض لها • أما الشمس فلها اشعاعات تصدر عنها اشـــعة قاتـــلة •

جريان الكون

قال سبحانه (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)• من مكتشفات علماء الكون والفلك فى عصرنا الحاضر أن الكون كله يجرى • فالشمس بكل كواكبها وكويكباتها ومذنباتها تجرى كلها • وأرضنا هـــذه تجرى بسرعة ١٥٠٠ كيلو فى الثانية الواحدة ، والمجرات كلها تجرى • وكلما أبعدنا فى أغوار الفضاء زادت سرعة الجريان حتى يصل جريان المجرات على بعد ألف سنة ضوئية نحوا من ١١٣ الف كيلو فى الثانية الواحدة •

طبقات الأرض

يقول سبحانه (وفى الأرض قطع متجاورات وجنـــات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) • تشير الآية الى حقيقة فى علم طبقات الأرض فيقول متخصص هو الدكتور أحمد كامل الضو أن قطعة الأرض الواحدة تكون قطعا بعضها جيرى ورملى أو طينى أو ملحى مختلف الخصائص ، وان بدا للعين قطعة واحدة بل وثمة حقيقية أخرى أن فاكهة من فصيلة واحدة كالليمون والبرتقال تمتص شعيرات جذوره الماء والغذاء من التربة ويحوله الى ما يسمى بالتمثيل • وهكذا فالنبات مختلف الأنواع والخصائص والشكل والمذاق والرائحة والطعـــوم وان تجاورت زراعتها •

حركة الكواكب

يقول سبحانه (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) فالأرض تدور حول نفسها أمام الشمس وكل نقطة ضوء تسقط على سطح الكرة الأرضية يكون نهارا فاذا استدارت عن الشمس انفلت منها الضوء وانسلخ النهار فكان الليل ٠

ويقول سبحانه (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) ٠ ومعروف أن الشمس تدور حول نفسها وأن الأرض والقمر وثمان كواكب أخرى تدور نفسها أمام الشمس وأن هناك أجرام أصغر من الكواكب تسمى كويكبات ، لها مداراتها وكذلك المذنبات لها مساراتها والذى يدير حركة هذه الأجرام فى مداراتها بحيث لا تخرج عنها أو تصطدم بغيرها هى قوى الجاذبية ٠

ولا يمكن أن تتغير مواقع وابعاد الكواكب عن بعضها ويفسر العالم الفلكى حنفى أحمد (السبح) بمعنى الحركة ٠

ابعـاد الأجرام

قال سبحانه (الشمس والقمر بحسبان) ٠ من كمال صنـع الخالق وابداعه أن كل شيء فى الكون يجرى وفق نظام وتقدير دقيقين ٠ موضع الشمس والقمر فى الفضاء وبعد كل منهما عن الآخر ثم بعدهما معا عن الأرض ودورة كل منهما ٠ ذلك كله محسوب بحساب دقيق ٠ فمثلا الشمس تبعد عن الألض ٩٣ مليون ميل لو ابتعدت أكثر عن الأرض لجمد كل ما على الأرض وانعدمت الحياة) ولو اقتربت الشمس لاحترق كل ما على الأرض ٠ وان ما فى الشمس من طاقة هو كل مصادر الطاقة والحياة لنا يمتصه النبات ضوء الشمس ، وتخزنه الفحم والخشب والزيوت فتساعد على احتراق هذه المواد مابها من طاقة شمسية مخزونة أما الجاذبية بين القمر والأرض فتعمل على المد والجزر فى المياه ، والمدان والجزران يحدثان يوميا المد ارتفاع المياه والجزر انحسار المياه وفى ذلك يساعد على تنظيف رمال الشاطىء ويعمق مياهه وتسهيل الملاحـة ٠

ابعاد واحجام الأجرام

يقول تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم)

وبتطوير علم الفلك حديثا علمنا أن الضوء الذى يصل الينا من القمر وهو أقرب الكواكب الى الأرض يصلنا فى نحو دقيقتين ونصف ومن الشمس فى ثمان دقائق ونصف وبما أن السنة الضوئية التى تقدر بها المسافات بين الأرض وتلك الكواكب هى ستة ملايين مليون ميل ٠ وان حجم الشمس مثلا أكبر من الألض مليون وثلاثمائة مرة وهناك كواكب أخرى أكبر من الشمس ٠ (للدكتور محمد أحمد الغمراوى ٠ مرجع فى هذه الناحية) ٠

الأوكسجين

يمثل ٢٣٪ من الغلاف الجوى وهو لا يوجد الا على ارتفاع ٣٠ر٠٠٠ كيلو أما من على ارتفاع ٤٠ر٠٠٠ كيلو فيستخدم من فى الفضاء كمامة على الفم من الأكسيجين وهذا الأكسيجين المساعد على الاحتراق يقى الناس على الأرض من الاحتراق ذلك أنه يحمى الانسان من الاحتراق بأشعة الشمس أو الأشعة فوق البنفسجية ٠

عالم الثرى (علم الجيولوجيا)

تشير الآية الكريمة (له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) (تحت الثرى) هى معجزة علمية فى علم الجيولوجيا فتحت الثرى عالم غنى بمعادنه وطاقاته وثرواته المعدنية واحجاره النفيسة ، وكلها له استخداماته وفوائده للانسان كالمايكا ويسخن فى درجة عالية ويستخدم كعازل كهربائى والكروم والفحم والرصاص والالومنيوم ٠٠ والبترول الى كل تلك الثروات المعدنية التى يبحث استخداماتها العلمية علم الجيولوجيا ٠

تعاقب الليل والنهـار

(ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار) فى زمان كان الناس يعتقدون بثبات الأجرام السماوية نجد القرآن يثبت دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها مما ينتج ظاهرة تعاقب الليل والنهار ٠ كل يطلب الآخر حثيثا ٠ كما جاء فى الآية ٠ ولقد صرح جاجارين أول رائد روسى من رواد الفضاء بأن ظاهرة الظلمة والنور تتعاقبان على الألض بسرعة يلحظها المشاهد بالفضاء ٠

الشمس والظل

يقول سبحانه (الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ٠

ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) • وهذه من دلائل حركة الأرض حول الشمس ودورانها حول نفسها • والظل مما تستروح النفس نسماته الطيبة وتأنس والمعروف أن الماء ردىء التوصيل للحرارة فلو سلطت الشمش على البحار لكرت اليه النفوس كرا لما ألفته وهذه المعانى وغيرها من اللفتات الطبية تنبه اليها المرحوم سيد قطب فى تفسيره الظلال •

حقائق فلكية

يقول سبحانه (طه • ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى) • ويقول سبحانه (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) • حقائق الفلك اليوم بددت ماكان شائعا من معارف خاطئة قبل وعند نزول القرآن وما بعده حتى القرن التاسع عشر الميلادى ومن أن بعد السماء عن الأرض بضعة آلاف من الأمتار فاذا الحقائق العلمية اليوم تقول انها ملايين من الأميال وهذا ما يتفق ولفظة (العلى) • وفى التعبير عن الشمس بالسراج دقائق علمية • فالشمس نار ونور فهى كتلة غازية تشتعل • من نواتها وتضىء كالسراج ما حولها ويستمد منها القمر ضياء وهناك كواكب ونجوم وأقمار فى أعماق السماء السحيقة •

يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى

يقول تعالى : (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) • فيقول العالم أحمد محمودسليمان ان الكائنات الحية تتكون من خلايا هى فى مواد غير حية وبامتصاصها المواد غير الحية كالماء والأملاح تصبح خلايا حية وتطرد ما يمثله غير حى - الى هنا توقف العلم الانسانى - أما كيف يتم ذلك فالله أعلم •

ويقول تعالى : (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) • وصدر الآية يشير الى أن عملية الخلق مستمرة على مدى الليل والنهار فى كل لحظاته • والكائنات الحية من انسان ونبات وحيوان بدايتها من خلية واحدة الى ملايين الخلايا • فالنبات مثلا يتغذى على الماء والأملاح والعناصر الحيوية من التربة وهى مواد ميتة تتحول مع ثانى أكسيد الكربون داخل النبات الى مادة حية • والانسان يأكل اللحم والجبن والخضر ويشرب الماء وهى كلها مواد ميتة تتحول الى دم فى بعض

أجزائها وهذا الدم يتحول الى حيوانات منوية وهى مادة حية · هذا وغيره من تحول المادة الميتة الى حية أما العكس · فاللبن الذى يحلب من الحيوان والعسل من النحل ، والثمار من الأشجار والعطر من الزهر ··· الخ ·

آيات الله فى الكون

يقول سبحانه (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله ··) فهذه اشارة الى أن الحديث عن آيات الله فى كونه والتى عرض لها باجمال منذ نزل القرآن والى أن تزول الدنيا كان عن الشمس والقمر والنجوم والطير والحيوان والمطر والنبات والانسان ·· الخ · وما بدا من ظهور مكتشفات علمية كالطائرة والصواريخ وما يدلك بالحاسة أو بالآلة من مثل قوله سبحانه (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) والاشارة الى الطائرات وسفن الفضاء ·· الخ فى قوله سبحانه (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ··) ظهرت بعد الحيوانات والسيارات والغواصات ·· الخ · وفى مثل قوله (والسابحات سبحا) وصفة التأكيد تحمل على أن المعنى هنا حقيقى وليس مجازيا ·

وعبر القرآن عن سباحة النجوم فى الفضاء والكواكب الأخرى (وكل فى فلك يسبحون) وفى مثل قوله سبحانه (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) ·

وهكذا يبدو الاعجاز العلمى فى حديثه المجمل العام الذى يشير الىالحقيقة العلمية فى أمر ما تتكشف لكل جيل فيفهم عنها ما يفهم دون أن يخطىء دقة التعبير عن المضمون العلمى ·

منازل القمر

يقول سبحانه (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدرهمنازل لتعلموا عدد السنين والحساب) تنطوى الآية على معجزة فلكية كشفتحقائقها فى العصر الحديث · فالشمس مضيئة بذاتها والقمر جسم معتم يستمد ضوءه من الشمس وهو تابع للأرض وله دورتان فى وقت معا دورة حول نفسه تستغرق يوما واحدا وأخرى حول الأرض تستمر ٢٩ يوما ، وله وجه يقابل الأرض دوما وهو المضىء · والآخر معتم دوما وحين دورانه يتحرك بمقدار ٥٤٠ دلجة مئوية فيكون هلالا فقمرا · ثم يعود كالعرجون القديم وهو فى كل حال ينزل منزلا ·

تفجير البحار

ويقول سبحانه (واذا البحار فجرت ولفظة تفجير مما كشفت عنه حقائق علوم الذرة فالبحار يتحد فيها الاكسيجين والأيدروجين ويوم القيامة ينفصلان فيحدث للايدروجين فرقعة ثم يحترق ويساعده على ذلك الأكسيجين .

البحار

قال تعالى : (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) . فالفحوص التلسكوبية اثبت دكتور فاروق الباز وهو يعمل فى محطة الفضاء الأمريكية أن بأعماق البحار أمواجا وتيارات هى أظلم وأكثف مما فوق سطحه .

ويقول سبحانه (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) . والاعجاز فى قوله (ذريتهم مما يشير الى ما يجىء به المستقبل من تطور صناعة السفن وهندسة تصميمها وسعة حمولتها والطاقة التى تسيرها بالشراع أو البخار أو الكهرباء أو الذرة ثم عجيب قوله (ومن مثله) فالسفن تسبح فى الماء وهناك مركبات أخرى تسبح فى الفضاء كالطائرات بأنواعها والمركبات الفضائية .

ويقول سبحانه (وسخر لكم البحر ..) وروعة الاعجاز ان البحر لا يتجمد منه الا سطحه فوق وفى حدود أربع درجات مئوية وما زاد على ذلك يجعل الماء يتمدد ولا يتجمد منه الا السطح مما يسمح للسفن بأن تسير فى أعماق الماء ومهما طاف الثلج فوقه .

والمحيطات ما نفذت سخونتها الى الأعماق ..

(أ) وسائل المواصلات :

قال تعالى : (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) خوطب بهذا العرب فى مبدأ الاسلام ومع الزمان كانت تتطور وتجد وسائل النقل والمواصلات كالسيارات بأنواعها والطائرات بأنواعها والصواريخ والمركبات الفضائية .. الخ . وكلمة (ويخلق) تشير الى الاستقبال والى تجدد العقل فى هذا المستقبل الزمانى مما يحدث بعد عصرنا وما بعده من مخترعات .

(ب) عنصر الحديد :

قال سبحانه (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) حقيقة علمية هدت اليها تحليلات الطيف ومعروف أنها ضوء شمس تبين منها أن عنصر الحديد موجود فيها · ونعلم أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها ومن هنا دقة التعبير العلمي بلفظة (وأنزلنا الحديد) ··

(ج) المعادن :

قال تعالى : ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) اهتدى الجيولوجيون الى أن هذه الألوان اشارة الى الوان المعادن·· باطنها ومن هذه الألوان ومشتقاتها نجد ألوان المعادن من حديد ونحاس ومنجنيز وخارصين والمونيوم وماغنسيوم · وهذه من مكتشفات عصرنا الحديث ·

الله والكون

قوله سبحانه (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) · منذ أربعة عشر قرنا نزلت هذه الآية مثبتة انه قبل وأثناء وبعد نزول القرآن يكشف الله سبحانه بارادته وحكمته قوانين هذا الكون التى حصلت منها المعرفة البشرية ماحصلت · فكان الفكر قديما أن الأرض مركز الكون كله ثم كشفت حقائق العلم أنها ذرة فى هذا الكون · والشمس كوكب من مئات الملايين من كواكب السماء وتوصل علماء الطب الى حقائق عن الجسم مما توصلوا عن باطن الانسان من حقائق نفسية · وهكذا على مدى الاجيال يصبح الكون والانسان دليلا على وحدانية الله وتفرده بصنع هذا الكـــون وضبط قوانينه ·

الشهـــب

كانت الحقيقة العلمية عن الشهب والنيازك قد حددتها الآية (··· انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب · وحفظناها من كل شيـــطان مارد ·· ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفــــة فاتبعه شهاب ثاقب) ·· تضاربت أقوال العلماء قبل أوائل القرن التاسع عشر عن الشهب والنيازك فمنهم من قال انها تأتى من القمر ومنهم من قال بل هى من الأرض ثم طرأت عليها تكوينات فاذا دخلت مجال الجاذبية الأرضية هبطت الى الأرض ·

والحقيقة فى هذا أن الشهب والنيازك مواد حجرية أو معدنية منهــا ما يظل فى الفضاء سابحا ودائرا حول الشمس كمواد ملتهبة فاذا انتقل الى الفضاء الأرضى احترق وهبط الى الأرض ويسمى حينئذ النيزك اما اذا ظل دائرا حول الشمس فهو شهاب . والشهب مـــواد انفصلت عن الشمس والكواكب الشمسية .

ويصدق نزول الشهب من السماء قوله سبحانه (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) وقوله سبحانه (أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى) .

فالشمس والأرض وكواكب الشمس كانت سديما هائلة سحابة سائلة ضخمة الوسط ورقيقة الحواشى والجوانب وكانت تسبح فى الفضاء هائلة فانفصلت الجوانب ودارت فى الفضاء بسرعة فكان القمر والأرض وهى باردة السطح ملتهبة الباطن . واثبتت تحليلات الطيف ما بالشمس وما بالأرض من عناصر .

الجبـــال والميـاه

(وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا) الفرات هو كل عذب من الماء وأعذب المياه مياه الأمطار ويشير دكتور محمد الغمراوى الى مابين الجبال والمياه من صلة ، فمن معظم الجبال تنبع الأنهار وتتسرب الى الأرض عيونا أو آبار أو أنهار وتتبخر المياه من المحيطات والأنهار لتعود أمطارا مرة أخرى غ. ودورة الماء هذه يحكم ادارتها البارى سبحانه وتعالى .

حركة الشمس

تشير الآية التالية الى حقيقة علمية فلكية وردت فى القرآن صريحة ولم تعرف الا فى عصرنا الحاضر . كان الشائع فلكيا من قديم أن الشمس ثابتة ولكن أشار القرآن صراحة الى دورانها فى مجال لها هى وغيرها من الكواكب سيارة فى مدارات يتوازى دورانها ولا يصطدم بعضها ببعض بتقدير مـــن العزيز العليم حتى يحين يوم القيامة فتطمئن الى مستقر لها .

يقول سبحانه (والشمس (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) .

حول جماليات الشكل

مصادر الاعجـاز

في كل مجال دراسي نحن أمام نوعين من المصادر ، عامة مطلقة تتناول موضوع البحثوهذه المصادر منها الموجود والمفقود والمخطوط والمطبوعوالعرض له يعطى الصورة شاملة عن جوانب بحث الموضوع ، ما استوفى منها البحث، وما يحتاج الى مزيد دراسة ، وما لم يتناول من جوانب في هذا الموضوع الى آخر ما يستفاد من نتائج تحليلية للمصادر العامة ٠ والقسم الثاني هـــو المصادر المتاحة ، ويعني بها مابين أيدينا من مصادر سنبحث فيها زوايا من موضوعنا وتكمله بنصوص منقولة عن مصادر لا تتناولها أيدينا ٠

خطتنا في عرض مصادر الاعجاز

يخصص فصل في بحث الاعجاز القرآني للحديث عن مصادر الاعجاز القرآني قديما وحديثا وذلك للتعرف على مواطن موضوعات الاعجاز فمن تلك الموضوعات مانجدها في علم الكلام والأخرى في كتب البلاغة والنقد ،وثالثة في كتب التفسير ، ورابعة في كتب علوم القرآن ٠٠٠ الخ ٠

ومصادر الاعجاز القرآني الحديثة منها كتاب (منوعات) للدكتور محمد كامل حسين وفيه فصل عن الاعجاز القرآني يبين فيه أن أسلوب التنـــاول القرآني يتفق شكلا ومضمونا والذوق العربي في صورة التعبير وأســـلوب العرض للمضمون ، وانعكاس لصورة البيئة الطبيعية العربية ٠

الثاني : المحور العقلي نلم فيه اجمالا بكبرى الآراء والأفكار التي نادى بها أصحابها نظريا ، متحرين أن يكون أصحاب الفكر الاعجازي ممن ينتسبون الى بيئات عقلية متعددة كي نتعرف على هـــــذا الفكر الاعجازي في شتى ألوانه ٠

الثالث : المحور التطبيقي وهنا يكون مجال الاختيار أمامنا حرا نلتقط منه نماذج تكون مجموعنا المختار صورة جمالية عربيـــة لفنون الاعجـــاز القرآني ٠

وفي هذا الفصل نعرض لكل ما بحث في القديم والحديث من جوانب الاعجاز ٠ فمثلا نجد (أسلوب الجدل) (مفهوم القرآن ومنطوقه) صورالتعبير الدائرة حول علوم البلاغة ٠ ومن هذا العرض للقديم أو الحديث نضع مقترحنا

الذى يلم هذا الشتات المتفرق من مصادر مختلفة والذى قد يكون فى موضوعاته ازدواج .

خطة البحث فى الاعجاز القرآنى

اذ أن ميدان البحث الاعجازى وسيع متعدد الدروب ، وحتى لا يتوه بنا الطريق فنندير البحث فى الاعجاز القرآنى على محاور ثلاثة :

. دراسات الاعجازالحديثة :

بدأ النهضة الشيخ محمد عبده بتحقيق كتابى الدلائل والأسرار لعبد القاهر ، وعول عليهما على عبد الرازق فى أماليه . ثم دعوة الشيخ أمين الخولى الى التفسير الأدبى وتطبيقات عائشة عبد الرحمن ، ومحمد خلف الله ، وتوالت بعدئذ الدراسات .

وفى الميدان الأدبى العام يبرز الرافعى ثم من بعده سيد قطب .

اتجاهات فى بحث الاعجاز فى العصر الحديث

١ ــ اتجاه اجتماعى :

ابراهيم اللبان ــ تجديد القرآن للمجتمع .

٢ ــ اتجاه نفسى :

أمين الخولى وعبد الوهاب حمودة .

٣ ــ اتجاه أدبى :

أمين الخولى ــ عائشة عبد الرحمن ــ سيد قطب .
وقبلهم الرافعى .

٤ ــ اتجاه علمى :

عبد الرازق نوفل ومصطفى محمود .

٥ ــ اتجاه حضارى شامل :

مالك بن بنى وكتابه (الظاهرة القرآنية) .

لماذا الاعجاز البيانى ؟

لقد حددنا الميدان الذى يمكن أن يمتد اليه البحث فى الاعجاز القرآنى، ميادين علم النفس ، والاجتماع ، والعلوم الطبيعية ، والفلك والكيمياء ٠٠ الخ٠ لكن هذه ميادين تتصل بمعارف أوقف الله عليها عباده بعد نزول القرآن على مدى سنين كان الله سبحانه وتعالى يكشف فيها لعباده من أسرار الكون ٠

ما عرف العرب هذا الاعجاز العلمى الذى يرتبط بالمضمون والذى يغيب فى بطن الزمان ٠ لم يكن بهذا المضمون العلمى التحدى بالاعجاز القرآنى ٠ انه كذلك حقا للأجيال التى تقف على تلك العلوم ويوفقها الله الى أسرارها ٠ أما العرب فتحداهم القرآن بما عرفوه وكان أقوى أسلحتهم ، سلاح البيان المعرب ، وعلى نمطه وبمقاييس جماله ، وبالذوق الذى يطبعه جاء القـــرآن وأسلوبه ٠

أبعاد فى الاعجاز القرآنى

١ ـ البعد اللغوى :

فالتشريع الاسلامى اعجاز فى التشريعات التى عرفتها الدنيا قد يمكن هنا اللفت الى أهم مافى تشريعـات الأديان السابقـة وأمم الحضارة لبيان عظمة التشريع الاسلامى ٠

٢ ـ البعد اللغوى :

لغة القرآن افرادا وتركيبا ٠ وكيف وحد القرآن الجزيرة العربيـــة لغويا ، بل وكيف استخدم ألفاظها عربها عن الأمم التى عايشت القرآن ٠

٣ ـ اما البعد التاريخى والجغرافى والاقتصادى ٠٠٠ الخ فكل منها منها يمكن ادراجه تحت البعد الاجتماعى ٠

٤ ـ **البعد الأدبى والبعد الكلامى** استأثر بهما مبحث الاعجاز ٠

وستظل هنالك دوما ابعاد أخرى تتكشف فى مستقبل كل جيل بما يهبه الله لذاك الجيل من معارف وقدرات ٠

النظر المنهجي في الاعجاز

١ - نظرة كلية لتلك التي قال بها أصحاب الصرفة سواء بدأ الأمر بهذا الحكم العقلي أو انتهى الأمر به بمعنى أن البداية كانت مقارنة أدبيـــة بين القرآن وكلام البشر ثم الخلوص الى الصرفة ٠

٢ - كلي أيضا ولكن النظرة هنا أدبية ٠ وأصحابه قالوا بالنظم : كالجاحظ - الخطابي - الباقلاني -وعبد القاهر ٠

٣ - نظرة جزئية تتبع جانبا جانبا من القرآن : كالقول باعجاز بديعه، أو استعاراته ، أو تشبيهاته ٠٠ الخ ٠

وينتظم البلاغيون في هذا المنهج ٠

الاعجاز الاجتماعي

ان العبادات الروحية من صوم وصلاة أو حج يتحقق فيها أوسع معاني المساواة فالكل مكلف بها لا تسقط عن غني أو شريف أو ذي منصب وانما الكل يتعبدون بها سواء ، لبسهم في الحج واحد ، ويتصافون في الصلاة في وقت واحد خلف أمام واحد ٠ ويفطرون في وقت واحد ويمسكون في وقت واحد ٠

(هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ٠٠ (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) ٠٠ (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل) ٠

اذا كانت عبادات الاسلام تحقق معنى المساواة فانها تفرض على الغني أعباء في الزكاة والصدقة وتجعلها للمحتاج حقا ويتلطف الله في تعابيره عن ذلك المعنى ٠

أما قضية العنصرية من أخطر مشاكل عصرنا ولقد عالجتها في مقالي المترجم عن الأجناس البشرية المنشور بمجلة الثقافة ٠

في الاعجاز اللغوي للقرآن

بالاستعانة بمعجم الراغب الأصفهاني (مفردات القرآن)ومعجم مقاييس

اللغة لابن فارس مبحث اللفظ القرآنى على ثلاثة مستويات : اللغوى العام ، والمستوى القرآنى العام أى أولا استخدام اللفظة فى مطلق اللغة ثم استخدامها فى عموم السور القرآنية ثم الاستخدام الخاص بها فى السياق وهو المستوى اللغوى الثالث ·

اقتراح ببحث شامل فى جمال الاعجاز النحوى كجزء من الاعجاز اللغوى للقرآن الكريم

وذلك بتناول الآيات تناولا اعرابيا ينظرونه الى هندسة التركيب المعجز للمنطق النحوى القرآنى ولننظر الى مثل هذا التخطيط المبدئى لاعراب سورة الكوثر ·

انـــا : أداة توكيد ونصب ولفظ الجلالة اسمها ·

أعطيناك الكوثر : فعل وفاعل ومفعول به أول وثان ـ وهنا يتضح الايجاز النحوى · ثم الجملة كلها فى مجال رفع خبر (ان) ·

فصل لربك : يبحث عن معانى الفاء ودلالتها هنا ماهى ؟ و (صل) فعل أمر والفاعل مستتر تقديره (أنت يامحمد) ولربك جار ومجرور متعلق (بصل) ·

وهنا تدرس المتعلقات فى القرآن كله ·

وانحر : فيها ايجاز نحوى · فهى جملة معطوفة والفاعل فيها مستتر ·

ان شانئك هو الأبتر : ان واسمها مضاف ثم مضاف اليه · (هـــو الأبتر) مبتدأ وخبر والجملة فى محل رفع خبر ان ·

وبعد فالنظر الشاملة لهندسة النحو القرآنى يتعجب من الدقة والاحكام المعجز فيه ·

القيم الجمالية للاعجاز القرآنى

علم المعانى والنحو

علم المعانى يبحث جماليا فى العلاقات التى ترتبت منطقيا وفق قواعد

النحو فى العبارة العربية • ومن هنا فمبحث النحو فى العبارة عقلى منطقى بينما هو فى المعانى يتمازج فيه الفعل والاحساس • وفى هذا الجانب يتوافق النحو وعلم المعانى • وثمة جانب آخر من مبحث علم المعانى يخرج فيـــه على مواضفات علم النحو •

فى الاعجاز اللغوى للقرآن

ان هذا البحث اللغوى فى الاعجاز سيرتكز على محاور ثلاثة : اللغة ببنائها وجرسها • ثم الاعراب واللغة بدلالاتها المعنوية • ويبحث فى هذا أولا فى نطاق جزئى يتناول بضعة آيات ذات نسق معنوى ، متحد • وبعد اذ نفرغ من هذا المبحث المستقصى لأجزاء القرآن نجمع النظائر والمتشبهات فى القرآن كله فنجعل بابا لأسلوب الشرط فى القرآن ، الاستفهام فى القرآن ، النعت فى القرآن ، الحال فى القرآن •••• الخ •

تكملة لاقتراحى فى بحث الاعجاز اللغوى • أرى أن يتم هذا فى اطار من اختيار آيات ذات وحدة معنوية واحدة لينظر فى التلوين اللغوى المآدى للمعانى • فمثلا فى سورة (الضحى) يراد استئناس الرسول وازالةوحشته من انقطاع الوحى فاستخدمت أساليب التوكيد بعدة ألوان كالقسم ، وتكرار النفى ، واستخدام لام الابتداءوالتكرار فى هذا الاستخدام • ثم الاستفهام التقريرى والعطف واستخدام (أمّا) التفصيلية • مع اتباعها باسم يطلب من الرسول ايقاع الفعل عليه "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث"

فى اللغـــة :

الاعـــراب

ان الاعراب فرع المعنى كما هو بدهى ، وأرى لذلك أن هناك اعرابين اعراب هو فرع المعنى وآخر قد نخرج فيه عن هذا الاعراب لضرورة الأداء الصوتى مثل قوله تعالى (وينشر رحمته) فانها للتخفيف تنطق (وينشر رحمته) •

واذا فان للأداء الصوتى قواعد تحكم اعرابه وتنظم اعرابه لسهولة الأداء الصوتى لتحقيق وظائف : قوة المعنى ، صحة مخارج الحروف ، سلامة الأداء وجماله • وذلك وفقا لمعطيات علم الأداء الصوتى أو القراءات •

١ - البعد النحوى : فللقرآن نحو فيه جمال العلاقة ووثاقة الارتباط التى بها يقوى المعنى ٠

٢ - فى المجال الصرفى حيث البناء فقط بناء يقوم على الذوق العربى بقيمه الجمالية ٠

٣ - البعد الصوتى : بما يوفره للفظ بحروفه وللآيات بكلماتهـــا من جمال موسيقى موفرا جوا ثريا بالنغم يعاون على التأثير المعنوى والنفسى المـــراد ٠

الأداء الصوتى

هذا جانب من جوانب الدرس الاعجازى لم يضعه باحث فى مكانه هنا٠ يقول سبحانه (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ٠٠ وأرى من بعض معانى الآية هذه الخصائص الصوتية المتاحة للفظ القرآنى ، والتى يحسها عمليا علماء القراءات ٠ سجلوها نظريا وأداها عمليا مقرئو القرآن ٠ وبودى لو تلقطناها بصورة تبرز هذا الجانب بجوانبه اللغوية البحتة ، والمعنوية ، والموسيقية ٠ ان بعض ما تعارف عليه علماء الصوت من صعوبة أداء ما تقاربت مخارج حروفه ولكن نجد اعجاز القرآن فى مثل قوله (اركب معنا ٠ وأمم ممن معك) ٠

عبقرية الاداء الصـــوتى

يتبين لى اجتهاديا من الاعجاز الصوتى مثلا قوله سبحانه (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله) نتأمل (لا - للقمر) ٠ فاللام فى الشمس شمسية تنطق اللام وبعدها الشين ٠ أما (للقمر) فللام الأولى مكســـورة والثانية ساكنة ٠ أما (لله) فهنا ثلاث لامات كتابة ولكنها أداء تتلون تلوينا صوتيا ٠ هكذا (لل) (لا) فاللام الأولى مكسورة تعقبها لام ساكنة ٠ و (لاه) اللام الأولى مفتوحة بعدها ألف الاطلاق ٠

ومثلا الآية (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) ٠ نتوقف عند فائين (الأولى نهاية فاختلف) نجدها مفتوحة يعقبها مباشرة فاء مكسورة ٠

النغم الآلهى

الاداء الصوتى وفق ما تهدى اليه علماء القراءات بالتطريب وترقيق بعض

الحروف والعلو والانخفاض بالصوت أو التأنى واختلاس الحرف نطقا ... الخ .

التقطيع المتوازن للآية فى تأليفها والأداء الصوتى المطابق لها .

تقطيع الأداء الصوتى للآية بما يلون معناها وفق كل أداء وهذا فن يبحثه الوقف والابتداء .

الفواصل القرآنية نغم ثرى فى الأداء الصوتى .

الحروف المقطعة مفاتيح نغمية تتكرر حروفها فى الآية وفى السورة جميعا محدثة جرسا موسيقيا خفيا .

الحروف متقاربة المخارج كالحاء والخاء ، واللام والميم تعين على ايجاد الفهم .

وضع الكلمة فى الآية وتغير وضعها بعد مما يحدث النغم : المصباح فى زجاجة الزجاجة .. الخ .

استخدام الألوان البديعية تعين فى مجال النغم

هدف البحث فى الاعجاز القرآنى

كان الهدف أولا الابلاغ والدعوة ، فكان القرآن ضامنا لمن يستمع اليه بعقل وقلب مفتوحين ان يؤمن : (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) .. وفى قصص المشركين الذين فتنوا بروعة القرآن ، ومن أسلم منهم بعدئذ كعمر بن الخطاب دليل على ذلك .

ثم تجىء مرحلة التربية والتكوين الاسلامى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) .

ومن ثم يعكف المسلمون على استخراج مضامينه السلوكية لاتباع الأوامر واجتناب النواهى وتهذيب النفس البشرية .

كانت اللغة العربية ملكا للعرب فى جزيرتهم ،وبعد الاسلام صارت العربية ملكا للمسلمين ، وأصبح القرآن مصدرا لكل المعارف ، عصر البعثة ،

وما بعده بعصور . وهكذا عكف المتخصصون كل فى فنه جاعلا من القرآن مصدرا لدرسه ومستهدفا خدمته . اللغوى ، والنحوى ، والبلاغى ، ورجل التشريع ، والمفسر ، والمؤرخ ، والقصصى ، والأديب ... الخ .

ونلتقى بمعالم مميزة فى البحث الاعجازى : مرحلة التدليل على عربية الأسلوب القرآنى ويمثلها أبو عبيدة فى مجاز القرآن ، وكان سبقه الى بعض التخبطات فى الأسلوب العربى ، الشافعى أول أصولى اسلامى (ت ٢٠٤) وتعقبها مرحلة البحث الجمالى والدفاع الدينى على نسب فى اختلاطهما معا أو تفرد كل منهما . أو غلبة أحدهما على الآخر .

وتثور اسئلة عند الجاحظ : الى أى أنواع الكلام ينتسب القرآن ؟ فيم اعجازه ؟ ومع هذا كله ردود على طعن الطاعنين فى الشكل والمضمون ويحظى الجمال التعبيرى أو الشكل ببحث البديع عند ابن المعتز ، وابى هلال ، ويحدد الرمانى المصطلح البديعى مع عناية بالتأثير النفسى للقرآن . والخطابى يفطن لبذور فكرة النظم ، والباقلانى يرفض الاعجاز البديعى وتأثرا بظروف عصره وعنده ان روعة البيان القرآنى حيث الاعجاز فى حسن البيان أو فى التركيب الجمالى الذى يشترك فيه التشبيه والاستعارة والبديع مجتمعين لا منفردين . ويعنى ابن سنان بالجمال الصوتى .. أما عبد القاهر فيرى الجمال معنويا ويطلع بفكرة النظم المؤسسة على علمى المعانى والبيان ويطبقها الزمخشرى . ومن ثم يسلك البحث الجمالى والدفاعى مسارب مختلفة على مر العصور بعد ذلـك .

موقف من الاعجاز القرآنى

لم يكن المشركون مؤمنين بمضمونه ولكنهم فتنوا بنظمه وتعبيره الفنى وفتن المؤمنون بمضمونه ورمزوا على جمال المضمون . ثم جاءت مرحلة الفتح الاسلامى ودخول طوائف من أمم أخرى ذات حضارات وثقافات فطعن بعض ملحديها فى النظم والمضمون جميعا ، وواكب ذلك أيضا مرحلة الدرس للشكل والمضمون فى القرآن جميعا .

الجمـــال

فى القرآن نجد حديثا عن الجمال الحسى للانعام (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) وجمال معنوى سلوكى (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (وأهجرهم هجرا جميلا) .

معانى الجمال فى القرآن

اضافة الى ماقلته عن مادة (ح س ن) فان مواد زينة وزخرفة وجمال تشير الى معانى الجمال فى الشكل والمضمون . يقول سبحانه عن نعمة الانعام (ولكم فيها جمال حين يحو وحين تسرحون) .. (زين للناس حب الشهوات من النساء .. الخ) .. (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة .. (زين لهم الشيـــطان أعمالهم) .. (.. زخرف القول) . ويقول تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) .. (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ..)

فكرة المعانى عند العرب القدماء

هل فكرة المعانى مرادفة للمصطلح المعاصر (الأسلوب) فى القرآن سنجد عند الفراء وأبى عبيدة والزجاج تعنى هنا صور البيان والصرف والقـــراءة والتلوين فى العبارة..الخ . أما فى الشعر فنجد معانى الشعر (للأشناندانى) وديوان المعانى لابى هلال والمعانى لابن قتيبة ويقصد بها أيضا الأسلــــوب الشعرى من صور ومعان وأحاسيس . وان لم يكن لدى الدليل من نصوصها .

فى الشـــكل :

صيغ التحريم

زميل جامعى ممن حصل على أرقى الدرجات فى اللغة من فرنسا جادلنى ـ وهو من ذوى الميول ليس فى القرآن تحريم الخمر صريحا كما حرمت الميتة والدم ولحم الخنزير فى الآية (حرمت عليكم الميتة والدم .. الخ) . قلت فى القرآن صيغ مثل (اجتنبوا) و (لا تقربوا) أشد قوة فى التحريم وأكثر تغليظا فى التحريم فالنهى عن الاقتراب أو اجتناب سبيل ما تشبيه للمحارم بالحدود الممنوع الاقتراب منها أو ملابستها بحال من الاحوال فلا تجالس مثلا شارب الخمر أو تؤانسه أو تسقيه أو تسمع لحديثه .. الخ . وكذلك آية (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن) . لمس المال أو الأخذ منه وهو حق لليتيم يكون فى احتياط وحذر ومراقبة لله . ولعل الدرس الشامل لصيغ التحريم يوضح فرق ما بينها .

ليلة القـــدر

مضمون العظمة لهذه الليلة رفيعة الشأن بدليل تسميتها (ليلة القدر)

وبأنه أنزل فيها القرآن الذى ضم تعاليم الاسلام الراقية لسعادة البشر فى آخر أطوار رقيهم العقلى دينا ودنيا وأنه فى هذه الليلة تتنزل كوكبات الملائكة ومنهم جبريل يحفون ويصلون لدارسى القرآن والصائمين العابدين وقد حفتهم السكينة والأمان هذا لمضمون عظيم الشأن بدأ يتشكل بعبارات الفخامة والجلال (انا أنزلناه) وأشار الى القرآن بالضمير دون الاسم الظاهر لسطوع شأنه وكرر ليلة القدر ، وأطنب فى السؤال المفخم لأمرها (وما أدراك ما ليلة القدر) وأطلق أنها خير من ألف شهر أجرا وعبادة وشرفا) • وعبر عن تواصـــل نزول الملائكة وجبريل بالفعل (تنزل) وقدم الخبر (سلام) على المبتــدأ لتفخيم تلك الليلة •

جماليات التعبــير القرآنى

أصل أصله اللغويون ان النكرة اذا كررت تكون اللفظة الثانية غير الأولى ، بينما المعرفة اذا كررت تكون هى عين الأولى ولهذا قالوا : لن يغلب عسر يسرين فى الآية (فان مع العسر يسرا • ان مع العسر يسرا) •

ولقد توقفت عند هذه الناحية فى هذه الصورة النورانية (الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ••) فاللفظة تجىء مبهمة منكرة : مصباح •• زجاجة ، لتعود فتتكرر مقترنة بأل العهدية ، وكأن الابهام قد أوضـــح ، والاطلاق قد قيد (المصباح •• الزجاجة) •

فى جماليات الشكل القرآنى

تتسم السور المكية فى عمومها بالنهج العاطفى والايقاع الوجـــدانى المتناغم معه قصر الآيات وموسيقيتها بينما تتسم السور المدنية بالنهج العقلى لأنها فترة تنظيم وتشريع للدولة الاسلامية • ومن هنا جملها الطويلة المتأنية، وان كان ثمة آيات مدنية ألحقت بالسور المكية وأخرى مكية ألحقت بالسور المدنية فلأن الاعتبار الزمانى والمكانى بالنسبة لهذه الآيات اعتبار بشرى بحت أما بحق الله سبحانه فالسور كل متكامل يتناغم شكله مع مضمونه ويتوازن فيه عنصرا العقل والعاطفة — وليس يتناقض هذا مع غلبة الوجدان على السور المكية ، والعقل على السور المدنية لأنا نقصد بالتوازن هنا حوار القرآن مع الناس تمشيا مع مراحل الدعوة الاسلامية وتدرجا بالكائن البشرى من عاطفة الى عقل ثم أخيرا تعادل كامل بينها •

من عناصر الاعجاز ـ تأثيره الجمالى

تنبه الأقدمون الى فكرة خاصية أن القرآن تزداد حلاوته مع كثرة الترداد ، ويستحلى جماله بطول المعادلة ، ونحن نرى أن كلام الخالق يعذب مع الأيام . وكلام المخلوقين ، تكرار كلام الخالق يعذب مع الأيام . وكلام المخلوقين مهما جملت عباراته أو معانيه يمل تردادها وفى أحسن الأحوال يفتر الاحساس بجمالها .

من جماليات الشكل القرآنى

فى القرآن التعبير عن المعنى الواحد بصور تعبيرية مختلفة أو بأساليب متنوعة فمثلا :

(أ) وآية لهم الليل نسلخ منه النهار .

(ب) ويكور الليل على النهار والنهار على الليل .

(ج) يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل .

(د) والليل اذا يغشاها والنهار اذا جلاها .

مناسبات بين السور

كان القرآن يتنزل بحسب الأحداث . اما ترتيب سورة فكان توقيفيا عرضه الرسول على جبريل فى صورته الحالية بالمصاحف .

ومن هنا فان البحث فى مناسبات السور يوقفنا على أسرار من الاعجاز فمثلا بين سورة الفيل ولايلاف قريش تسع سور نزولا ومع ذلك فان سورة الفيل تنتهى باهلاك الله للحبشة حيين أرادوا هدم الكعبة ليتوفر الأمان النفسى والاقتصادى لأهل مكة القرشيين ومن ثم تبدأ سورة لايلاف قريش بلام التعليل ، وهكذا تتصل السورتان مناسبة (فجعلهم كعصف مأكول .. لايلاف قريش ايلافهم ..) .

مناسبات السور القرآنية

سورة الماعون ختمت بالمرائين الذين يمنعون الماعون بينما سورة الكوثر بدأت بالعطاء والعطاء الذى هو أكثر الأكثر ، فهناك الكثير والأكثر ، والكوثر

هو أكثر الأكثر مطلقا ، فجاء العطاء بهذه الصيغة ثم أمر الرسول الصادق بالصلاة والنحر مقابلة للمصلى المرائى المانع للماعون ، والنحر هنا للحيوان الذى يلى فى ترتيب الكائنات الانسان فأولا الانسان فالحيوان فالنبات فالجماد ، وأغلى مايتملكه الانسان هو الحيوان ، والأصل ان الانسان يتغذى بالحيوان والحيوان غذاؤه من النبات ، والنبات منشق عن الأرض الجماد التى أحياها الماء الجماد ٠

الشكل

اذا كان القرآن قد نزل منجما ليوافق المناسبات والأحداث وليكون تدريبيا لهذا الأمة الاسلامية على التمرس بأدابه وتعاليمه وربطا للقرآن بواقع الحياة العملية ولفتا مستمرا الى حياة أخرى فيها الخلود والجزاء ٠٠ اذا كان القرآن نزل منجما لهذه الأغراض وغيرها مما هو ليس موضوع تفصيلنا ، فانه من جهة أخرى دلالة على اعجاز القرآن ، اذ بعد أن وقف جبريل الرسول على ترتيب الآيات فى السور وجدنا تلك الآيات متناسقة المعنى ملائمة اللفظ ، ولا يصدر هذا الا عن الخالق سبحانه فالانسان لو كتب سطورا وعاد بعد حين يضم اليها أخرى لبان التخالف فى أسلوبه ووضح زمن التباعد فى كتابة أسطره ، وهذا مالا نلمحه أبدا فى كلام الحق سبحانه وتعالى ٠

فى الجمال القرآنى ـ التناسب المعنوى

حين سمعت الى سورة (الحجرات) وجدتها كلها تلفها وحدة موضوعية واحدة تبدأ بالوصية ألا يخالف حكم الله ولا حكم رسوله ٠ ثم تتوالى الآيات ملحة على موضوع واحد هو أدب السلوك بداية بالسلوك مع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انتهاء بسلوك الناس بعضهم مع بعض وهنا نحس بأنه يريد تهذيب طباع البداوة والسمو بالناس الى مرتبة التحضر فى السلوك ٠

جماليات القرآن

مما يستوقف مطالع السور ونهاياتها وما أرى هل تناول الباحثون هذه الزاوية أم لا ٠٠ لكن من المطالع نجد الحروف المقطعة ٠٠ والقسم ، استخدام الأسلوب الشرطى (اذا وقعت الواقعة) وتنزيه الله (تبارك الذى بيده الملك) ٠٠ وهنا ينبغى أن نلحظ صلة مابين مفتتح السورة وخاتمتها بصرف النظر أولا عن مضمون السورة كلها ثم تنظر ثانيا فى موافقة كلا المطلع والخاتمة للمضمون فى السورة أى تنظر نظرتين : عامة تشمل القرآن كله وخاصة تشمل السورة فقط ٠

العبـارة والذات

كلامه سبحانه ، وهو قرآنه يشف عن خصائص ذاته ونقبس منها ٠٠ والله أجل من أن يشبه بكائن ولا كائن له شبيه ٠ ولكننا نقرب المعانى ومن هنا فالأسلوب القرآنى يتسم بالابداع فهو لا سابق له فى اعجازه شـــكلا ومضمونا ، وفيه السماحة ، والقوة ، والشمولية ، ويشع منه الايمان ، ويهتز الفكر ، ويحرك الارادة ، الى صفات وصفات تستجلى بتحليل صفات الذات وأفعال الله سبحانه وتعالى كما أوردها محكم كتابه ٠

الجن والاعجـــاز

كانت الجن عند بعثة الرسول تتسمع الى السماء ٠ ففى سورة الصافات (٠٠ لا يسمّعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عـذاب واصب) ٠ ولما اشتد ايذاء كفار مكة للرسول وسخريتهم منه ٠ وذهب الى الطائف فلقيته ثقيف بلقاء سىء عزاه الله سبحانه وتعالى اذ صرف اليه الجن يستمعون اليه كما حكت سورة الجن وسورة الاحقاف ٠ ورأوا فى القرآن هداية للرشد وللحق وأحسوا باعجازه (انا سمعنا قرآنا عجبا) ٠٠ ومن الآراء ما يقول بأن سماع الجن للرسول كان مرة واحدة ومنهم من يرى تعدد لقاءات الجن بالرسول كرواية الترمذى التى تحكى أن الرسول لما قرأ على الجن سورة الرحمن كانوا عند آية (فبأى آلاء ربكما تكذبان يقولون لا تكذيب بنعمة من نعم الله ٠ وله الحمد)٠

فى الاعجاز

مع كل رسول كانت معجزة مؤيدة شاء لها الله أن تكون من جنس ما برع فيه قوم الرسوم وتتضاف الى تلك المعجزات ٠٠ ذات الطابع الحسى ، معجزة معنوية تتمثل فى معان الهية يصوغها الرسول بألفاظه ، كصحـــف ابراهيم وتوراة موسى وانجيل عيسى ٠

أما محمد فقومه أصحاب عبارة وأرباب بيان ومن هنا كانت معجزته المميزة عن معجزات سائر الرسل كتابا الهيا ٠٠ فى شكله ومضمونه ٠٠ ليس للرسول الا أمانة نقله الى قومه بلا أى تدخل من جانبه فى لفظ القرآن أو معناه ٠

ومن هنا فالكتب السابقة على القرآن كانت سماوية المعنى بشرية اللفظ بينما القرآن سماوى باللفظ والمعنى جميعا . ولقد كان للقرآن صنيعة بسامعه - مؤمنا أو معاندا - يمتع الأذن بحلو اللفظ وعذب النغم ، ويحرك ما فى الوجدات من أحاسيس الحب والبغض ، والفزع والأمن ، والهدوء والقلق ، ويثير العقل وينطلق متسائلا لتكون الخاتمة ، ايمان وسكينة فؤاد ، أو شك وعناد ،وقلق فؤاد .

ومن هنا هذا الحديث القرآنى عن الصنيع بالقلوب والعقول ، تلك التى آمنت . أو هذه التى تمردت ذكر لكل ما ورد فى القرآن فى هذا المجال) .

ومع هذه الشواهد قرآنية ، نجد شواهد تاريخية (هنا ماحكته كتب السيرة) .

عصر النبوة والمعنى

لا ينفصل معنى ولفظ أبدا فى قضية التعبير ، ولكن مع تسليم النبى وصحابته وعصر النبوة كله بجمال الشكل ، كان همهم المعنى،والتنفير من كل أبعاده فيما يقرأون من قرآن أو فيما يحفظون من آيات . ينزعون بمعانيها الى السلوك العملى ، والتطبيق الواقعى . وهذا أرقى ما يطمح اليه أى تعبير أن يحرك قوى العقل والوجدان وينزع بالارادة الى الحركة الهادفة الواعية .

معجزات الأنبياء

نحدث عن معجزات الأنبياء من القرآن الكريم وكيف اتفقت المعجزة مع واقع العصر وطبيعة العقل البشرى ، وهو فى مدارج تكوينية ثم كيف أن القرآن أعطانا صورا لشخصيات الأنبياء . مانحا اياهم خصائص متفردة ، الرسول محمد الخلق العظيم ، موسى القول ، ابراهيم وهو الخليل .. الخ.

عن الاعجاز

ج ٤ من حليه الأولياء ص ٢٨٣ : حدثنا محمد بن على ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا يزيد بن خالد ثنا يحيى بن يمان ثنا أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير قال : قرئت عند النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيها النفس المطمئنة) فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : ان هذا لحسن ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما ان ملك الموت ليقولها لك عند الموت (وهذا يومىء لطرب أبى بكر للمعنى) ص ٢٨٤ .

حول مفهوم الاعجاز

لا نستطيع القول بأن المعجزة السماوية جاءت متدرجة وتطور العقل البشرى وذلك لأن اليونان ، وكذلك الفراعنة قبل الديانات السماوية كانوا قمة فى الفكر والفن ، ولكن المعجزة تجىء ومناخ عام يسود كل المجتمعات الانسانية وهو مناخ الخواء الروحى ، فتجىء رحمة الله مرسلة للرسل مبشرين ومنذرين موقظين للاحساس الروحى منبهين الغفلة العقلية . وتجىء المعجزة فى مناخ خاص بكل أمة وتجىء من الجنس الذى يرعوا فيه كآية على صدق من جاء من الرسل بالمعجزة.واذا كان هناك من يقول بأن القرآن معجزة توافق نضج العقل البشرى بمعنى أنه معجزة آخر الزمان حيث يبلغ العقل غاية الشوط ولكنها معجزة منذ نزولها تعطى فعاليتها وحيويتها بالقدر النسبى الذى لكل جيل من عقل . بمعنى أن كل جيل يرى فى القرآن قمة ما وصل اليه العصر من معرفة فالناس مهما تفاوت حظهم من ذكاء أو نضج عقلى أو ثقافة فى جيل ما سواء فى الاقرار بهذه الحقيقة فى اعجاز القرآن . واذا كانت معجزة موسى حسية وهى السحر وعيسى حسية وهى الطب فان القرآن حسى معنوى معا . معنوية لأنها كلام الله لفظا ومعنى لا حرف فيها يتغير ولا معنى يتبدل ، وحسية لأن الشفاة ترددها الى آخر الزمان ، وهى ماثلة أبدا ، حية تسمعها الآذان وتنطق بها الشفاة وتقرأها العيون وتتدبرهاالعقول، ويتحرك بها الوجدان ، وتترجم معانيها جوارح المؤمن أفعالا .

مذاهب فى الاعجاز القرآنى

١ - تمهيد يدور حول قضية الفهم والذوق فى اللغة العربية فهما محوران دارت حولهما بلاغة العرب فى تاريخها الطويل وقديما قيل : من العلوم مانضج واحترق وهو النحو ، ومن العلوم مالم ينضج ولم يحترق وهو البلاغة .

وفى عصرنا يثير استاذ جامعى فى مشكلة - تعليم اللغة العربية جانب الاتكاء على الفهم والغاء جانب الذوق وكأنه يريدنا أن نقف من لغتنا كلاسيا يتحيز للعقل ويعادى العاطفة وكأنى به نسى أن اللغة فى وضعها وتأليف عبارتها ليست منطقا وهندسة بل أيضا هى بمضمونها منطق وفكر ، ثم هى بالتخير اللفظى وبالطريقة المخصوصة فى النظم تهدف للتأثير الوجدانى .

٢ - ان الله خالق الكائن العاقل نبه فى كثير من الآيات الى فريقين:

وموقفين من القرآن ، فعن المشركين قال (وان أحد من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) .

وعن المؤمنين قال : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله). وهذا لأن الله ضمين باستيلاء القرآن على عقول وقلوب السامعين . ومن هنا فتنة المشركين بالنص القرآنى ... وحياة المؤمنين فى معانيه تأسيا به ، ولقد عمق هذا الجانب وبولغ فيه بعد أن كان رزينا وزينا عند الصحابة فصار الى الاغراق الوجدانى عند جماعة الوجدانيين المسلمين ولنمثل لهم بالنيسابورى.

٣ ـ ومن العجيب ان البحث فى الاعجاز القرآنى كان على مدى العصور عمليا فى هدفه لكن كلما تباعد شيئا عصر نزول القرآن جاءت الحاجة الـى أسباب وأدوات تؤهل لفهمه وذوقه :

(أ) ففى الاتجاه اللغوى :

يفهم اللفظ والغريب ولمعرفة استخداماته الأدبية نجد ابن عباس يستشهد بالشعر رابطا بين النص القرآنى والنص الأدبى . ومتوقفا عند اللفظة فـى استعمالها المعجمى والأدبى جميعا . ويوسع هذا الاتجاه من بعده اللغويين كالفراء والزجاج .

(ب) الاتجـاه الأسلوبى :

واذا كان التوقف عند الأسلوب وتبين أسراره يعتبر مرحلة تاليـة بعد تفهم مفرداته وتراكيبه فهذا الذى كان حين ألف أبو عبيده كتابه المجاز وجد أن كاتبا عربيا يغمض عليه أسلوب التشبيه القرآنى . وهنا يقابل بين النص القرآنى والنصوص الأدبية ليدلل على أن القرآن عربى الطريقة .

وتعطى مثل هذه الدراسات نتائجها فى البحث الاعجازى فيتوقف الفراء مثلا عند جمال الفواصل القرآنية ويتابع فى عمق مثل الراغب الأصفهانى التصرف بالمعانى فى لفظة قرآنية بعينها .

ويطرح الجاحظ بعقله وحسه ـ وان مرماهما لبعيد ـ قضية النظم فى الأعجاز القرآنى . ويهب هو ومن بعده رجل السنة ابن قتيبة للدفاع عـن النظم القرآنى ضد هجمات الطاغين مجادلين هؤلاء الجاهلين أو المتجاهلين .

وتبدأ مرحلة أصيلة فى بحث زوايا الاعجاز القرآنى : فابن المعتزالشاعر الفنان والعربى الأصيل يتبع فى كتابه منهجا فنيا يبدأ فيه بالنص القرآنى فحديث الرسول وهو يؤصل للبديع مدللا أنه عربى وكان يجيىء طـــبعا لا تكلفا ٠

وأبو هلال العسكرى ينظم مباحث الجاحظ البلاغية كلها لتكون وسائل يد المتصفح للاعجاز القرآنى ، فلؤمن به ايمان من معه الدليل لا المقلد المتبع، ومع أنه ساق كثيرا من الشواهد القرآنية فى أبوابه لكنه لم يبين كيف يمكن - تطبيقا - التوسل بهذه الوسائل فى فهم الاعجاز القرآنى والاحساس به ٠

(جـ) الاتجاه الفقهى :

وهو من الاتجـاهات العملية التى ظهرت على يـــد الامام الشافعى فنبه فى رسالته الأصولية الى خصائص الأسلوب العربى وكيف ان بالأصولى والفقيه حاجة الى الوسيلة البلاغية لاستخراج الاحكام من النصوص وسيعمق هذا الجانب بعد عند مثل الغزالى والشاطبى ، بل وتستأثر مقدمات كتب أصول الفقه بمعظم موضوعات البلاغة وتبحث مسائل لم يرتدها أحد قبل الاصوليين ، وحتى لنجد السكاكى فى القرن السابع يجمع علوم البلاغـــة المشتتة فى كتب الفقه وأصوله ٠

(د) الاتجـــاف المعنوى :

ويمثله فى القرن الرابع ابن جرير الطبرى باحثا عن مدى خصوبة المعنى القرآنى مكتشفا اياه من صور التعبير القرآنى ٠

القرآن والتربية الأدبية

حاول ابن الاثير محاولة أدبية طريفة تفيد من البيان القرآنى المعجز ٠ فأوصى فى كتابه (المثل السائر) بحل معانى الآى القرآنى بالتعبير عنها تعبيرا انسانيا وأعطى نماذج عملية فى كتابه (المثل السائر) ومثل هذه الطريقة تمرين أدبى للموهبة ٠

التيار الأدبى فى مبحث الاعجاز القرآنى

باستقراء النصوص التاريخية نجد قضية أدبية كامنة فيها هى قضية اللفظ والمعنى ٠ أما المؤمنون فقد شدهم المعنى بقوة لأنهم عاشوا فى النص

القرآنى وأرادوا به الى ترجمة معانيه ترجمة سلوكية ، بينما الكفار وزعماؤهم بخاصة قد فتنوا بجمال الصياغة وكانوا يتسمعون سرا الى تلاوة القرآن متعة سمع ووجدان وان لم ينفذ الى وجداناتهم فيرققها أو الى عقولهم فينبهها ولعل قضية اللفظ والمعنى معا تنبه اليها الكفار آخرا حين أرادوا أن يجتمع رأيهم فى محمد والقرآن ، فقد كانت أقوالهم كلها دائرة حول الظروف التى تحيط بالنص القرآنى واصفة قائلة ومبينة تأثير القرآن فيمن يستمعون اليـــه ٠

ثم حين يخطط للتفسير القرآنى نجد الربط بين النص القرآنى والنص الأدبى العربى ، حين يفسر ابن عباس اللفظة القرآنية بما ورد من معانى العرب فى استعمالاتهم لها فى أشعارهم ويتصاعد التيار الأدبى درجة حين نجد المؤصل الفقيه الامام الشافعى يشير سريعا الى خصائص تميز الأسلوب العربى وعلى نمطها جرى البيان القرآنى ٠

ويعمق هذا الجانب أبو عبيدة فى كتابه (مجاز القرآن) موازيا بين الأسلوب العربى وخصائصه والأسلوب القرآنى وخصائصه مقرنا وقرة من النصوص الأدبية للعرب ٠ وتنبه غيره من اللغويون وهم يفسرون القرآن - وهمهم بيان خصوبة المعنى ، تنبهوا الى خصائص موسيقية كاتساق رءوس الآى والآيات القرآنية ، وبعض خصائص أسلوبية أخرى ٠

كان هذا كله يسير فى خط متواز ، أما حين عمد الطاعنون من الملحدين الى التشكيك فى القرآن نجد من المتكلمين رجلا كالجاحظ يبين مواطن الطعن فى التعبير أو المعنى مقرنا بنظائر له من التعبير الأدبى ، وهنا نجد الموازنة والجدل المنطقى يمتزج بالتيار الأدبى ٠ ومن ثم يفرد الجاحظ خصائص جمالية فى الأسلوب القرآنى كالايجاز والمجاز ٠

ولقد كان ما يعج به التيار الأدبى من قضايا نقدية ينعكس على مباحث الاعجاز القرآنى ، فقضية البديع أو الطبع والصنعة تنعكس عند ابن المعتز فيجعل فى كل باب من أبواب البديع المطبوع النصوص القرآنية ٠ وأبو هلال العسكرى وجل كتابه يتوسل بمعرفته الى معرفة الاعجاز القرآنى وان لم يبين كيف ٠

وفى هذا القرن الرابع نجد باحثى البلاغة والأدب يتلقطون نماذج من روائع التشبيه القرآنى ، كابن أبى عون يجعل فى مقدمة كتابه (التشبيهات) ،

تشبيهات القرآن ، أما ابن قتيبة يفيد من مباحث الجاحظ الأسلوبية ، ومن دراسات أبى عبيدة فيرصدها فى (تأويل مشكل القرآن) ٠

ويتصاعد التيار الأدبى ، فالرمانى يضبط المصطلح الأدبى ويجعل له نماذج قرآنية يتصورها اطارا لمبحث الاعجاز ٠

أما الخطابى فيضع أسسا لنظرية فى الاعجاز أفاد فيها من الجاحظ الذى قال بأن القرآن كنوع أدبى هو قرآن وأن اعجازه فى نظمه ٠ ولهذا قـال الخطابى بالنظم وبالتأثير النفسى ٠

ويتأثر الباقلانى بالجو الأدبى فى عصره حين كان يوازن الملاحده بـين القرآن والشعر ويفضلونه عليه فأخذ هو من جانبه يوازن بين القرآن والشعر والنثر من كلام البشر فى مبالغة تقابل منهج الملاحدة ٠ على أنه بعدئذ قام بالتحليل الأدبى لبعض النصوص القرآنية متخذا منها منهجا تأثريا ، ورفض أن يجعل البديع محور الاعجاز ولكن البيان أو تجمع أكثر من صورة بيانية هى مدار الاعجاز ٠

ويخرج فى القرن الخامس القاضى عبد الجبار بفكرة الفصاحة وهى تغير مواقع اللفظة فى العبارة لتجلب معها خصائص جمالية ٠ ويكشف ابن سنان الشاعر هذه الفكرة فوسع فيها ٠ وفى هذا القرن أيضا نجد شاعرا هو الشريف الرضى يقدم لنا نماذج رائعة من اعجاز القرآن أو الاستعارات القرآنية ٠ أما عبد القاهر الجرجانى فيضع فكرة النظم والتأثير النفسى محللا شواهد قرآنية وموازنا بينها وبين النص الأدبى أحيانا ٠ ويطبق فكرته الزمخشرى على نطاق واسع ناقلا التيار الأدبى الى درجة عليا حيث كان يستشهد بشعر من جاءوا بعد القرن الثانى مقابلا بين معانيهم الأدبية ومعانى القرآن ٠ وقد تأثره ابن المنير بعدئذ فى كتاب (الانتصاف) يقرر ابن ناقيا (التشبيهات القرآنية) ، جايئا بازائها بالتشبيهات الأدبية مكتفيا بأسلوب العرض ليخرج القارىء بنتيجة الموازنة بين التشبيه ٠٠ صنعة الخالق ، والتشبيه صنعـة المخلوق ٠

ثم نجد منهجا طريفا عند ابن الأثير فى القرن السابع حين يعمد الى استلهام المعانى من الآى القرآنى لتمرن الموهبة الأدبية على الاجادة ٠

ومثل هذا المنهج فى الاستلهام فقط نجده عند الصوفية الذين يرون النص القرآنى مثيرا لمعان فى وجداناتهم وعقولهم تبعد بهم عن ظاهر النص ٠

فنون القرآن

من جميل ما التفت اليه ابن أبى الاصبع ما سماه الافتنان وقصد به أن يجمع القرآن بين فن أو أكثر من فنون الأدب · وابن القيم يبرز تلك الفنون فى القرآن فيرى فى القرآن غزلا وفخرا ورثاء وهجاء ومديحا ووصفا ٠٠الخ٠

الفكر والعاطفة

يتعايش الانسان بفكره ووجدانه فى الماضى حيث أحداث الغابريـــن وبالفكر والوجدان والارادة فى الحاضر حيث يسلك على ضوء الماضى اما متجنبا الاخطاء أو مقلدا لها ٠

أما فى المستقبل فيسلك بالفكر والوجدان فقط ان كان مؤمنا حيث ينتظر ما أعد للمؤمنين ويتجنب ما أوعد به الكافرون الماضون · أما الكفار فقد الغوا العقل والوجدان معا بالنسبة الى يوم الحساب وعاشوا محبوسنين فيما قلدوا به أجدادهم ، هم اسارى الفكر والوجدان المنحرف ٠

طرافة كتاب الباقلانى

١ ـ ان دراسته موجهة للمؤمنين والملحدين جميعا ولذا يختلط فيـه الدرس الكلامى بالدرس الأدبى ٠

٢ ـ موازنته بين جنسين لا يوازن بينهما النص القرآنى والنصوص البشرية · ومن هنا يستخدم المقاييس النقدية بالنسبة للنصوص البشرية والمقاييس البلاغية بالنسبة للنص القرآنى ٠

الباقلانى والاعجاز القرآنى

دراسته طريفة ، فسأل لماذا العناية بالشكل الجمالى ؟ لأنه هو الذى بهر المشركين وان لم يؤمنوا بمضمونه ونعود لدراسة الباقلانى فنجده طريفا فى استخدامه المقاييس النقدية والبلاغية فى آن معا للموازنة بين وضعين متغايرين من حيث القائل ومن حيث الجودة الأدبية · فالنص القرآنى معجز مستوى الجودة والنص الانسانى متفاوت الجودة الأدبية · ومعايير النقـد تنطبق على نص البشر أما البلاغة فيقاس بها جمال القرآن ٠

الباقلانى وأسسه النقدية

لقد أفاد الباقلانى فى أسسه النقدية للنص الأدبى من سابقيه كالجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز والرمانى والخطابى والآمدى والحاتمى ٠٠ الخ ٠ ونستطيع تبين هذا بوضوح نصوص نقلها عن ابن قتيبة فى نقده لأبيات ولما قضينا من منى ٠٠ الخ) وخطؤه النقدى أنه وازن بين نصين لا يوازن بينهما أحدهما الهى والثانى بشرى ٠

اعجاز القرآن للباقلانى

كما يشير اليه العنوان فهذا الكتاب مخصص للبرهنة على أن القرآن كتاب معجز من أصل الهى نزل على رسول الله ومن ثم فهو معجزة ٠ وليمكنه البرهنة فهو يقول : ان رسالة محمد مؤسسة على هذه المعجزة ٠ وغالبا بدل أن يركز مقاله على البراهين الأدبية والانشائية نراه يناقش براهين أخرى من واد غير وادى الانشاء والأدب ٠ فقد طرح محمد دعوة لجميع معاصريه الذين لم يصدقوا برسالته تحداهم فيها الى أن يأتوا بمثل القرآن لو استطاعوا ٠ ولم يستطع أحد أن ينهض بهذه المحاكاة ٠ والمؤلف يلحظ أن محمدا لم يدع معاصريه الى تقليد أحاديثه النبوية لأنه يعرف أنه من الممكن تقليدها ٠ وقد وعد الله رسوله أن ينصر عقيدته المحمدية على العقائد الأخرى وقد حقق الوعد ٠ والبرهان الثالث على أن القرآن معجزة هو أمية محمد وعدم معرفته القراءة والخط وأخبار الأمم القديمة ٠ وأخيرا أن القيمة الأسلوبية لهذا الكتاب (أى القرآن) يتضمنها البرهان الرابع التالى : وهو أنه ليس بالشعر ولا بالسجع وأن القرآن يتضمنها (ونظرة الى القرآن تبين عكس هذا زعم الباقلانى أن السجع خصيصة من خصائص الوثنيين الذى يعرف سجعهم بسجع الكهان وسجع الكهان يتعارض مع النبوة ـ اذ سجع الكهان غامض جدا ومبهم ٠ انظر زكى مبارك فى هذه النقطة) ٠ وهو ليس من البديع فكثير من المحدثين زينوا به كتاباتهم دون أن يبلغوا بها جمال القرآن ٠

واذن يجب من ثم أن نقول ان الكتاب (أى القرآن) مكتوب بطريقة جديدة كل الجدة غير معروفة للعرب ومكتسبة من جمال لا مثيل له أو شبيه له ٠ وفى كلمة فهو (كتاب الله) والباقلانى يقارن أيضا بين هذا الكتاب وبين خطب النبى وبلغاء خطباء وقته ويقول ان الفرق بين القرآن وخطب الرسول غير موضع للمقارنة كما أن هناك فرقا بين كلام الله وكلام البشر ٠

وكتاب الباقلانى يهتم أكثر بالجدل والتقريظ أكثر من الاسلوب

ص ٥٩ من النثر الفنى ج ٢ لزكى مبارك   أبو بكر الباقلانى
انظر ج ٢ ص ٢٧٠ من وفيات الاعيان .

لم يصل الينا من آثار أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى الا كتابه (اعجاز القرآن) وفى بقاء هذا الكتاب مع ضياع سائر ما وضعه المؤلف دليل على أن معاصريه كانوا اهتموا بنسخه ودراسته فسلم بذلك من الضياع . ونحن وان لم نر من مؤلفات الباقلانى غير كتابه فى اعجاز القرآن فانا نستطيع الحكم بأنه خير كتبه : لأنه فى موضوع خطير جدا كان يستوجب من مثلـه حماسة واستعدادا بالغين . فقد كان بعض الناس فى عصره يرتابون فى اعجاز القرآن وكان فى ارتيابهم ما يسوقه الى درس الاعجاز من جميع أطرافه ، ودفع الشبه التى كان يذيعها الملحدون فى الحواضر الاسلامية . وانه ليمثل لنا الأزمة العقلية التى اطبقت على معاصريه اذ يقول :

« ومن أهم ما يجب على أهل دين الله كشفه ، وأولى ما يلزم بحثه ، ماكان لأصل دينهم قواما ، ولقاعدة توحيدهم عمادا ونظاما ، وعلى صدق نبيهم برهانا ، ولمعجزته ثبتا وحجه . لا سيما والجهل ممدود الرواق ، شديد النفاق ، مستول على الآفاق . والعلم الى عفاء ودروس وعلى خفاء وطموس وأهله فى جنون الزمن البهيم ، يقاسون من عبوسه لقاء الأسد الشتيم ، حتى صار ما يكابدونه قاطعا عن الواجب من سلوك مناهجه والأخذ فى سبله . فالناس بين رجلين : ذاهب عن الحق ذاهل عن الرشد ، وآخر مصدود عن نصرته مكدود فى صنعته ، فقد أدى ذلك الى خوض الملحدين فى أصول الدين ، وتشكيكهم أهل الضعف فى كل يقين . وقد قل أنصاره ، واشتغل عنه أعوانه وأسلمه أهله ، فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه حتى عادمثل الأمر الأول على ماخاضوا فيه عند ظهور أمره : فمن قائل انه سحر ، وقائل يقول انه شعر ، وآخر يقول انه أساطير الأولين .... الخ » .

وليس فى هذه الفقرة شىء جديد فان شكوى الزمان من الظواهـــر الانسانية التى يجدها المطلع فى أكثر ما أثر عن القدماء والمحدثين . ورجال الدين خاصة يكثرون من التبرم بمعاصريهم ووصفهم بالزيغ والالحاد والفسوق . فليس معنى هذا الكلام أن أهل القرن الرابع كانوا أكثر الناس شبهات وأضاليل ، ولكن معناه أنهم كانوا كذلك فى نفس المؤلف ، وفى هذا مايدفعه الى التأهب لمناضلة المرتابين فى اعجاز القرآن .

٢ ـ لا نريد العرض لمسألة الاعجاز وانما يهمنا أن نتبين كيف كان القدماء يفهمون النقد وكيف كانت مذاهبهم فى وزن الكلام البليغ · فكتاب الباقلانى فى نظرنا صورة للحياة الأدبية فى أنفس الناقدين من رجال القرن الرابع · وليس حجة فى تقدير القرآن · لأن وزنه أخف من أن يفصل فى تلك المسألة الدقيقة : مسألة الكلام المعجز الذى يسمو ببلاغته على ما يتطلع اليه فرسان الفصاحة والبيان ·

وهناك جانب آخر لا نذكر أن من الباحثين من أشار اليه : وهو جمع المحاولات الأدبية التى حاولها خصوم القرآن ، ففى تلك الحالات صورة من صور النقد لها قيمة فى أنفس من يعنون بتاريخ الآداب ونحن كمؤرخين للادب يهمنا أن نستقصى جهد الطاقة ما تناثر هنا وهناك من محاولات الناقدين بدون تفريق بين الخطأ والصواب · فان ذلك فى جملته يمكننا من درس الحياة الأدبية دراسة علمية بعيدة عن مطارح الأوهام والظنون ·

٣ ـ من ذلك ما حدثنا الباقلانى أنه نقل اليه أن من خصوم القرآن من (جعل يعدله ببعض الأشعار ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ولا يرضى بذلك حتى يفضله عليه) · ففى هذا الخبر ظاهرة أدبية خطيرة ينبغى أن نقيد أنها وقعت فى القرن الرابع ، ولو أن الباقلانى بين لنا كيف كانت تلـــك المعادلات والموازنات لاستطعنا أن نعرف الى أى حد كانت تلك المحاولات تتصل بتاريخ النقد الأدبى ولكن ما صنعه الباقلانى نفسه فى نقد امرىء القيـــس والبحترى يحدد لنا ذلك المنهج بعض التحديد فقد عرض لأشهر قصيدة نسبت الى امرىء القيس وهى المعلقة فنقدها بيتا بيتا بعد أن أشار اليه أنه لا يرتاب فى جودة شعر امرىء القيس ولا يشك فى براعته وفصاحته وما أبدع فى طرق الشعر من أمور اتبع فيها كذكر الديار والوقوف عليها وما يتصل بذلك من التشبيه الذى أحدثه والتلميح الذى يوجد فى شعره والتصرف الكثير الذى يصادف فى قوله والوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقه · ولم ينقد الباقلانى معلقة أمرىء القيس الا ليبين للقارىء أن تلك القصيدة ونظائرها تتفاوت فى أبياتها تفاوتا بينا فى الجودة والرداءة والسلاسة والانقياد والسلامة والانحلال والتمكن والتسهل والاسترســـال والتوحش والاستكراه : فهى على ذلك كلام ينحت من الصخر تارة ويذوب تارة · ويتلون تلون الحرباء ، ويختلف اختلاف الأهواء ويكثر فى تصرفـه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه · ومثل هذا الكلام لا يقارن بالقرآن الذى يصفه بأنه « قول يجرى فى سبله على نظام ، وفى وصفه على منهاج ، وفى وضعه على حد ، وفى صفاته على باب ، وفى بهجته ورونقه على طريق مختلفة

مؤتلفة ومؤتلفة متحدة ، ومتباعدة متقاربة ، وشاردة مطيع ، ومطيعة شارد ، وهو على متصرفاته واحد : لا يستصعب فى حال ولا يتعقد فى شأن » ٠

٤ ـ ونتيجة هذا ـ من وجهة تاريخية ـ أن البلاقلانى ومعاصريه رأوا أنه فى الامكان ان يوازنوا بين قصيدة من الشعر وسورة من القرآن ٠ وان لم يتحد الموضوع وسبيل ذلك أن تبين محاسن القصيدة ومساويها ويشرح فيها المبتذل والطريف والمقبول والمرذول ثم يقابل ما سلم فيها بالسورة التى توازيها فى الكمية ليظهر ما فى السورة من المحاسن التى لم يشبها ضعف ولا تهافت ولا فضول ٠ وهذا النحو من النقد يعد من المحاولات البارعة فى الأدب العربى ولا عيب فيه الا التحامل والاسراف ٠ فان خصوم القرآن كانوا يأبون الا الوصول الى شواهد يحكمون لها بالفضل والباقلانى كان يعمد الى القصائد التى يعرف فيها الضعف ليصل دائما الى الحكم للقرآن بالفضل ٠ وقد بلغ به التحامل أن طعن فى قول البحترى :

ما الحسن عندك ياسعاد بمحسن   فيما أتاه ولا الجمال «بمجمل»

وزعم أن أسلم منه وأبعد من الخلل قول كشاجم :

بحياة حسنكِ أحسنى وبحق من   جعل الجمال عليك وقفا أجملى

مع أن الذى يفهم الشعر ويتذوقه يحكم بأن بيت كشاجم هذا لا يصح أن يقارن ببيت البحترى الا عند غلف القلوب ٠ وأغرب من هذا الشطط أن ترى الباقلانى يأخذ فى نقد بيت البحترى فيقول : قوله (عندك) حشو وليس بواقع ولا بديع كلفة وفيه كلفة ٠ والمعنى الذى قصده أنت تعلم انه متكرر على لسان الشعراء : وفيه شيء آخر لأنه يذكر أن حسنها لم يحسن فى تهييج وجده وفى تهييج قلبه وضد هذا المعنى هو الذى يميل اليه أهل الهوى والحب ٠

٥ ـ هذا كلام الباقلانى ٠ وهو كلام سقيم يدل على أنه لم يفهم بيت البحترى على الاطلاق ! وعلى هذا النمط من التحامل أفسد الرجل تلك الطريقة الجميلة : موازنة قصيدة من الشعر بسورة من القرآن وكيف تنتظر العدل من حكم يكتب صحيفة الاتهام على هواه ؟

ان الذى يوازن بين قصيدة من الشعر وسورة من القرآن يجب عليه أن يكون مستعدا للحكم بالعدل وهذا لا يتيسر لناقد يرى من همه أن يبحث عن مساوىء القصيدة ويطمس محاسنها أو يتجاهلها أو يغض من قيمتها ٠ وهو فى مقابل ذلك يجد فى البحث عن محاسن السورة القرآنية وابراز مزاياها

ولا يستبيح لنفسه التفكير فى وضع ألفاظها أو معانيها أو أغراضها أو أسلوبها موضع النقد • وهذا كاف فى تجريح ماهموا به قديما من الموازنة بين أثرين: أحدهما من الشعر ، وثانيهما من القرآن •

٦ ـ وتقع بعد ذلك مسألة شغل بها أكثر الباحثين فى اعجاز القرآن• وهى اعجاز غير القرآن من كلام الله كالتوراة والانجيل والصحف الربانية • ويجيب الباقلانى بأنه لا شيء من ذلك بمعجز فى النظم والتأليف وان كان معجزا كالقرآن فيما تضمن من الاخبار بالغيوب • ويضيف الى ذلك أنه لم يكن معجزا لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن ولأنه لم يقع التحدى اليه كما وقع التحدى الى القرآن •

ومعنى ذلك أن الباقلانى يرى أن غير القرآن من كلام الله لم يكن معجزا لأن الله لم يصفه بذلك وتكون النتيجة أن نسبة الكلام الى الله لا تعطيه صفة الاعجاز الا اذا وصف الله كلامه به وتحدى المعارضين اليه كما تحداهم الى القرآن •

ونحن نسأل : لماذا لم يصف الله التوراة والانجيل بالاعجاز ؟ ولماذا لم يمنح تلك الكتب المزية التى منحها القرآن ؟

وقد توقع الباقلانى أن يوجه اليه هذا السؤال • وكذلك عرض لنا رأيا له قيمته فى فهم القدماء لخطر اللغة العربية ومقارنتها بما سبقها أو عاصرها من اللغات • وهو يرى أن اللغات التى كتبت بها التوراة والانجيل لا يتأتى فيها من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى الى حد الاعجاز وانما يقع فيها التقارب فى البيان •

فان سأل القارىء : أكان الباقلانى يعرف من اللغات الاجنبية ما يمكنه من الحكم بأن اللغة العربية انفردت من بين سائر اللغات بالتفاضل فى وجوه الفصاحة ؟ فانا نجيب بالنفى •

وهو نفسه يحدثنا بأنه رأى أصحابه يذكرون هذا فى سائر الألسنة ويقولون : ليس يقع فيها من التفاوت ما يضمن التقديم العجيب •

٧ ـ وهنا يتطوع الباقلانى بشرح أسرار تفوق اللغة العربية فيقول :

« ويمكن بيان ذلك بأنا لا نجد فى القدر الذى تعرفه من الألسنة للشيء

الواحد من الأسماء ما تعرفه من اللغة العربية وكذلك لا تعرف فيها الكلمة الواحدة تتناول المعانى الكثيرة على نحو ما تتناوله العربية » .

وهذا المعنى عرض له ابن فارس اذ قال :

« انا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك الا باسم واحد ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسماة بالأسماء المترادفة . فأين هذا من ذاك وأين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب » .

والفكرة فى ذاتها سخيفة : لأن فضل اللغة العربية لا يرجع الى مافيها من كثرة المترادفات اذ كانت هذه المترادفات من الثروات الضائعة التى لا يحتاج اليها الا عند اللغو والتطويل . والقرآن نفسه الذى اتفقوا على سموه لم يعتمد على المترادفات فى كثير ولا قليل وانما هو كلام طلق يجرى الى غاية فى غير تعمل ولا تعسف .

٨ - وبسبب المترادفات هذه يتهم المسيو مرسيه اللغة العربية بأنها لغة (مائعة) لا تعرف تحديد الألفاظ ولا الصفات . فمن يبلغ الباقلانى وابن فارس أن ما كان عزة فى زمانهم أصبح فى زماننا من أعراض الأمراض ؟ .

وذلك التمحل من جانب الباقلانى ساقه الى تقرير « أن الشعر لا يتأتى فى تلك الألسنة على ماقد اتفق فى العربية وان كان قد يتفق فيها فى صنف أو أصناف ضيقة لم يتفق فيها البديع ما يمكن ويتأتى فى العربية وكذلك لا يتأتى فى الفارسية جميع الوجوه التى تتبين فيها الفصاحة على مايتأتى فى العربية » .

٩ - وهذه التهم التى كان يوجهها القدماء الى اللغات الأجنبية يقدمها الاجانب اليوم الى اللغة العربية : فلغتنا فى أذهان كثير من أهل الغرب والشرق لا يتأتى فيها الشعر على ماقد اتفق فى الانجليزية والفرنسية والألمانية مثلا وان كان قد يتفق فيها فى صنف أو أصناف ضيقة .. فما أعجب ما تتشابه التهم على اختلاف الأجيال .

على أن كلام الباقلانى له دلالته ومعناه : فهو صريح فى اعتزاز القدماء باللغة العربية وانا لنجد عند الجاحظ أصلا لهذا القول . وهو يحدثنا بأن الفرس والهندس والروم كانت لهم خصائص لم يتفق مثلها للعرب وأن العرب فى مقابل ذلك انفردوا بالفصاحة والبيان .

١٠ ـ وللقارىء أن يذكر أن هذا الغرور القومى كانت له مضار ومنافع. فمن مضاره أنه صرف العرب عن نقل الشعر الفارسى واليونانى ظنا منهم أنه في شعر أمرىء القيس مثلا غنى عن شعر هوميروس ومن منافعه أنه أغراهم بالاعتزاز بشعرهم ولغتهم حتى ظنوا أن الاعجاز لا يتأتى وقوعه فى غير اللغة العربية التى حسبوها تفردت بالتصرف فى الاستعارات والاشارات · وقد يكون حظ القدماء أجمل من حظنا فى هذا الباب · فنحن اليوم نؤمن بأن اللغـــة العربية كسائر اللغات لا يتفق فيها الاعجاز لذاتها · وانما يقع الاعجاز حيث تكون العبقرية فى القلوب والعقول ونؤمن بأن للغات ضروبا من التصرف فى القول قد لا يتفق مثلها أحيانا للغة العربية ولكنا لم ننقل من الشعر الاجنبى شيئا يقارب ما نقله أسلافنا من الفلسفة الاجنبية وانصرف كثير من شبابنا عن دراسة الشعر القديم فحرموا من تراث الاسلاف وكان لهم فيه معين من اللغة لا ينضب ولا يغبض ·

ووقف المجددون فى الشعر موقف التردد والحيرة : فلاهم عرب ينسجون على منوال الفرزدق والبحترى والمتنبى ، ولا هم فى طبعهم فى نجبة يجيدون محاكاة بيرون جوت ولا مرتين ·

١١ ـ وقد جاء فى كتاب (اعجاز القرآن) ما يفيد أن القرآن ليس من جنس كلام العرب ؟ فما هى حجة الباقلانى ؟ حجته أن العرب لم يأتوا بمثله وأن منهم من خشع له بدون أن يدرك معناه · ومن أمثلة ذلك أن جماعة بعثوا بعتبه بن ربيعة الى الرسول ـ وكان عتبه حسن الحديث عجيب الشأن بليغ الكلام ـ فلما وصل الى الرسول طمعا فى أن يأتى أصحابه بما عنده قرأ عليه النبى سورة (حم · السجدة) من أولها حتى انتهى الى قوله : (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فوثب عتبه مخافة العذاب ·

قال الباقلانى : فاستحكوه ما سمع فذكر أنه لم يسمع منه كلمة واحدة ولا اهتدى لجوابه · ولو كان ذلك من جنس كلامهم لم يخف عليــه وجــه الاحتجاج والرد · فقال له عثمان بن مظعون « لتعلموا أنه من عند الله اذ لم يهتد لجوابه » ·

ذلك ما قرره الباقلانى وما نحسب أحدا يرتاب فى أن هذا محـــض اختلاق ; فانه لا يعقل أن يؤمن الرجل بما لا يفهم · ومن المرجح أن مثل هذه الأقاويل مما وضعه الرواة والقصاص ·

ويقول الباقلانى فى موطن آخر : (قد ذكرنا أن العرب كانت تعرف

ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لأن ذلك طبعهم ولغتهم فلم يحتاجوا الى تجربة عند سماع القرآن ... وقال تعالى : (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) فأخبر أنه لو كان أعجميا لكانوا يحتجون فى رده اما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم أو كانوا يعتذرون بذهابهم عن معرفة معناه بأنهم لا يتبين لهم وجه الاعجاز فيه لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الأمور وأنه اذا تحداهم الى ما هو من لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم » .

والقارىء يرى تناقضا بين هذه الفقرة وبين الفقرة التى نقلناها آنفا . وهذا التناقض وقع بين سياقين فصل بينهما بنحو مائتى صفحة فللباقلانى عذره حين غاب عنه هنا ما أثبته هناك . فخلاصة الفقرة الأولى أن القرآن ليس من جنس كلام العرب لأنه اتفق لاحدهم أنه خشع له بدون أن يستطيع حكاية لفظه أو معناه .

وخلاصة الفقرة الثانية أن القرآن من جنس كلام العرب . ولولا ذلك لاحتجوا فى رده بأنه خارج عن عرف خطابهم أو اعتذروا بذهابهم عن معرفة معناه بأنهم لا يتبين لهم وجه الاعجاز فيه لأنه ليس من شأنهم ولا من لسانهم. (1)

١٢ - ونحب أن نفصل رأينا فى هذه المسألة ونحن نرى أن الفوارق بين اللغات تنحصر فى الألفاظ والأساليب : فاللغة تكون غير عربية اذا كانت ألفاظها أو أساليبها أعجمية . وقد يتفق مثلا أن نفتح كتابا تركيا أو فارسيا فنرى احدى صفحاته تغلب فيها الكلمات العربية أو تكون بعض الجمل فى ألفاظ عربية ولكننا لا نفهم شيئا لأن الأسلوب غير عربى .

وقد تكون جملة وضعت فى ألفاظ أعجمية ورتبت فى وضعها على الأسلوب العربى . ولكننا لا نفهمها لأن ألفاظها غير عربية . ومن هنا يتضح أن العرب فهموا بلا جدال ألفاظ القرآن ومعانيه لأنه عربى اللفظ والأسلوب . ولا عبرة بما حكاه الباقلانى من أن بعض العرب عجز عن تأدية ما سمعه من آى القرآن . لأن هذا يخالف المعقول والمنقول ويناقض ما منّ به القرآن على منكريه من أنه بلسان عربى مبين .

١٣ - بقى نوع آخر من وجوه التفاضل فى الكلام وهو المعنى : ونحن نرى أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع الى مافى المعنى من قوة وروح .

١٤ - وقد نجد من الشعر ماتخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ولكن قوة الروح تصل به الى أسمى غايات الابداع .

دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ

على عكس الباقلانى فان الجرجانى يرتكز خاصة على أن يبين أن جمال الأسلوب وبلاغة الكلام لا تكمن فى انسجام وتوافق الكلمات منفصلة بعضها عن الآخر أو متصلة بعضها بالآخر ولكن الجمال حقا جمال المعنى ، جمال الفكرة التى تسبب اجتماعهم السعيد (أى اجتماع الكلمـــات وانســـجامها) . (الألفاظ عنده خدم للمعانى) . وهذه هى الفكرة الرئيسية التى ينافح عنها ضد أولئك الذين يحاون الألفاظ مكانا عليا دونه محل المعانى . لأن الكلمة فى ذاتها ليست بالحلوة ولا بالقبيحة فى حد ذاتها أو ان شيئا فهى حلوة أو قبيحة بالفعل ولا بالقوة . ولهذا السبب فان كلمة بعينها تستحوذ على اعجابنا فى موضع ما ولا تنال من اعجابنا شيئا فى موضع آخر . ومن ثم فالمؤلف ينتقد أولئك الذين يرون بلاغة الكلام فى انسجام ألفاظه وتوافقها. وليركز نظريته فقد رأى نفسه مضطرا الى الكلام عن المجاز الذى ينقل المعنى من كلمة لأخرى كما لو كانت الكلمة الأولى هى عين الثانية مثلا حين نقـــول عن انسان انه أسد فقد انتزعنا من لفظة أسد معناها وخصائصها ومنحناها الانسان .

وأخيرا : فانه بينما الباقلانى قد جعل من كتابه مقالة تقريظية مديحية فان الجرجانى من جانبه قد جاء كتابه أسلوبى النزعة ولكنه يهتم أكثـــر بالمعنى .

نموذج لقضية الشكل والمضمون القرآنيين

يقول سبحانه على لسان الهدهد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .. ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض) وخص الهدهد (الخبء) لأن الله زوده بالمنقار الطويل يستخرج به غذاءه من باطن الأرض فجاء بتعبير موافق للمضمون الذى ألهمه الله فطرته .

مثال ثان : حين لقاء موسى بالله سبحانه أراد الله ايناسه فقال وهو رب العالمين (وماتلك بيمينك ياموسى) والله يعلم أنها عصا ويدرك استخداماتها (قال هى عصاى) وليزيد مدى الايناس بحديث الله والحوار معه قال موسى شيئا .. مع مراعاة مقام الألوهية (أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى .. ولى فيها مآرب أخرى) تلك رسالة العصا عند موسى ولكنها عند الله لها رسالة أخرى (قال القها ياموسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) والمضامين فى تلك الآيات والخطرات النفسيـــة ومراعاة المقام جاء التعبير لامحا لها .

فى الشكل الجمالى للقرآن

ان بحث الاطار العام لسورة من القرآن أو معالجة أسلوب العرض الفنى فى كل سورة كأن تتنوع أساليب العرض فى السورة بين وصف . وحوار . وقصة ، وجدل ، وضرب مثل ، أو تشبيه ، أو تصوير . هذا الى الدقائق الجزئية • فى الاساليب التعبيرية مما شغل به البلاغيون من أساليب وانشاء وأخبار • وما توصلوا اليه من دقائق جمالية فى المعانى والبيان والبديع • والى هذا ظواهر اسلوبية كالقسم والتأكيد • والانتـــــقالات المعنوية التى تستدعيها المقامات وملاءمة هذا للتعبير الجمالى • (•• انصرفوا صرف الله قلوبهم) • (قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ••• الخ) • ثم التلوين الصوتى ، الى غير ذلك ••

فى التفسير والأسلوب القرآنى

قاعدة خطيرة هى أصل فى التفسير (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) •

من الخطر استقطاع النص من سياقه المعنوى لأن هذا ينحرف بالمعنى فقوله تعالى (•• أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) ليس دليلا على الجبر وانما خلق الله هنا ينصب على المادة التى تشكل معبودات الوثنيين وتنبه لهذا القراء فلم يبيحوا الوقف عند مقاطع من الآى تغير وجهة المعنى •

وراجع هنا ما أجمله السيوطى فى باب (منطوق القرآن ومفهومه) • انما هو دروس ومثل لغيرهم من بنى الانسان فقوله تعالى مثلا (يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) درس لأن النعمة ينبغى أن تشكر فان كفرت حاق بالكافرين غضب الله

فى أصول التفسير : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب • ما ورد فى القرآن مصدرا (بيأيها الناس) ويأيها المؤمنون يحكى واقع المخاطبـــين نصوصا ولكنه وراء ذلك يمتد باللفظة للناس جميعا فما جاء فى شأن أولئك الأقـــوام •

الايجـــاز

لننظر كيف اجتمع السؤال والجواب ، مع الايجاز ، والسؤال الاستنكارى.

والجواب يقيني : أما السؤال : تعجـــبا ، من يقنط من رحمة الله ؟ انه .
والجواب : ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون . وفى الحذف ايجاز ،وبراعة
الحذف انه معلوم لأنه متضمن فى السؤال ، فلم يكرر فى الجواب .

الحق والخير والجمال فى القرآن

ما عرفنا الله به من صفات ذاته ومنهجه فى خلقه لا للتحديد ولكـــن
لنتأسى بالله فى صفة . وأما الخير فهو التكوين الخلقى العملى الذى يسلكه
الله معنا ويريدنا لنسلكه فى كونه ومتعة الفكر فى الله وكونه والاحساس
الوجدانى بالرجاء فيه والرهبة منه وتضمين ذلك الشكل اللفظى الجميـــل
كل أولئك أبعاد للقرآن .

ثلاثة العناصر هذه يعمل كل منها أن يحقق وجود أخويه العنصرين
الآخرين . فالحق هو ما يتصل بالخالق وصنعه وصفاته ، والحساب ،والبعث،
وارسال الرسل وانزاله الكتب . والخير هو الصلاح وفضائل الخـــلق
والسلوك .

وكل عنصر من هذه العناصر هو فى جوهره جمال ، ولكنه كذلك ينهج
نهجا جميلا ويعرض فى القرآن فى صورة جميلة . فالدلالة على الخالق هو
هذا الكون الجميل بأرضه وسمائه وناسه وكائناته الحية بجباله وأنهـــاره
ونجومه وشمسه وقمره .. الخ .. مظهر جميل متقن الصنعة دلالة على جمال
البارى .

أما عنصر الخير ، فالاحسان فى ذاته جميل ولكنه فى القرآن يطلب من
المحسن أن لا يمن فالكلمة الطيبة خير من الصدقة مع المن . والمؤمن يؤثر على
نفسه ولو كان به خصاصة . والدعوة الى الحق وحوار المخالف فضيلة ولكن
بالتى هى أحسن .

النهج اذن الى اثبات الحق فى القرآن جميل والصورة المعروض فيـــها
جميلة وكل مثل ذلك فى الخير . فاذا انضاف الى ذلك جمال التعبير بكل فنونه
وخصائصه .. علمنا أن القرآن يمتع العقل بالحقيقة ويمتع الارادة بالخير
ويمتع الوجدان بجمال الحقيقة والخير ..

تم بحمد الله .

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
أولا : مقدمـــة	٧ : ٨
الفصل الأول :	
فى المضمـــون القــرآنى العام	١١ ــ ٦٦
الفصـــل الثانى :	
فى المضمـــون القرآنى العلمى	٦٩ ــ ١١٤
الفصـــل الثالث :	
حول جماليات الشكل	١١٧ ــ ١٤٨

رقم الايداع ١٨٤٣/١٩٨٣
الترقيم الدولى ٦ ـ ٠٥٦ ـ ١٠٣ ـ ٩٧٧

مطبعــة اطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٤٧٧٩٧ ـ القاهرة

